وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم العلوم الانسانية

ظهور التصوف في العصر الأموي
(41 ه -132ه / 661م -750م)

مذكرة مقدمة للحصول على شهادة الماستر دراسات
في تاريخ و حضارة العصر الوسيط

إعداد:

آمال بوخويدم
حبيبة بوخضرة

إشراف:

أ - موهوبي نور الدين

السنة الجامعية:1437-1438ه/2016-2017م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم العلوم الانسانية

ظهور التصوف في العصر الأموي
(41 ه -132ه / 661م -750م)

مذكرة مقدمة للحصول على شهادة الماستر دراسات
في تاريخ و حضارة العصر الوسيط

إعداد:

آمال بوخويدم
حبيبة بوخضرة

إشراف:

أ - موهوبي نور الدين

الأستاذ	موهوبي نور الدين	أستاذ	مشرفا
الأستاذ	سحيري	أستاذ	رئيسا
الأستاذ	مالكي فاطمة الزهراء	أستاذة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:1437-1438ه/2016-2017م

بسم الله الرحمان الرحيم

شكر

مصداقا لقوله تعالى "لئن شكرتم لأزيدنكم"

شكر رب العزة الكريم شكرا كما ينبغي لجلال وجهه العظيم

و الحمد لله العلي القدير الذي أغرقتا بنعمه التي لا تعد و لا تحصى

و أنار دربنا حتى تمكنا من انجاز هذا العمل المتواضع نقدم كل

معاني الشكر و التقدير للأستاذ المشرف

" نور الدين موهوبي "

الذي أعاننا كثيرا بتوجيهاته القيمة فله جزيل الشكر أدامه الله منارة منارات العلم

كما نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المحترم "سحيري"

الذي أفادنا و قدم لنا يد المساعدة في انجاز هذا العمل ، كما لا يفوتنا أن

ننسى كل عمال مكتبة شلالة العذاروة الذين ساعدونا و وفروا لنا كل الوسائل لإنجاح هذا العمل ، نتقدم

بالشكر إلى كل من ساعدنا على إتمام هذا البحث من قريب أو

من بعيد و نسأل الله أن يجزيهم خير الجزاء

إهداء

إلى من قال فيهما الهأ تبارك و تعالى

" وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين إحسانا "

إلى التي أنارت لي حياتي و مهدت لي طريقي إلى طلب العلم

و كانت سندا لي في مشواري الدراسي أمي الغالية " فتيحة"

أطال الله في عمرها و حفظها لي

إلى الذي لم يبخل علي بكل ما يملك و الذي إن بقيت أعد فضائله

فلن أحصيها

إلى من أضاء مستقبلي و كان دوما سري أبي الغالي "رشيد "

إلى من شاركوني ظلمة الرحم و ربيع الحياة إلى مصابيح أيامي

ونجوم أفراحي ...أختي وحيدة قلبي الغالية صابرينة

إخوتي قرة عيني ...وليد ، أكرم، عماد .

إلى كل من شاركوني حلاوة الحياة جدي و جدتي الغالية

إلى كل عائلتي و أقاربي خاصة عمتي ليلى حبيبة جميلة

و ابنها الكتكوت الصغير لؤي

إلى من تقاسمت معها الحياة و شاركتها أفراحي و أحزاني رفيقة دربي "حبيبة"

إلى كل صديقاتي : عقيلة– خديجة– عائشة – منى – الزهرة –

و إلى كل من يعرفني من قريب أو بعيد .

أمال

إهداء

إلى من أرضعتني الحب و الحنان إلى رمز الحب و بلسم الشفاء إلى القلب الناصع البياض

إلى والدتي الحبيبة – زهرة –

إلى من جرع الكأس فارغا ليسقني قطرة الحب إلى من كلت أنامله ليقدم لنا لحظة السعادة إلى من حصد

الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم

إلى القلب الكبير والدي الحبيب – الميلود–

إلى القلوب الطاهرة و النفوس البريئة إلى شموع عائلتي الصغيرة إخوتي سهام عبد النور و الكتكوتة

الصغيرة رشا

إلى من رافقتني طوال مشواري الدراسي و قاسمتني حلاوة الحياة

و مرها صديقتي و أختي الغالية أمال .

إلى كل عائلتي و أقاربي إلى أحلى و أروع ورد في بستان حياتي صديقاتي عقيلة –خديجة – منى –.

إلى كل من تذكرتهم قلبي و نسيهم قلمي أهدي هذا العمل المتواضع

أهديكم جميعا هذا العمل .

حبيبة

قائمة المختصرات

الرمز	دلالته
ت	توفي
هـ	هجري
م	ميلادي
ص	صفحة
ط	طبعة
د.ط	دون طبعة
د.ت	دون تاريخ
مج	مجلد
تر	ترجمة
تح	تحقيق
ج	جزء
د.م.ن	دون مكان نشر
د م ت ث م	دار مركز التراث الثقافي المغربي

مقدمة

مقدمة :

ترتقي الحياة الإنسانية بسلوكيات تختلف عن طابع الحياة الحيوانية تجعلها أكثر تنظيما و هذا ما يظهر من خلال تتبع مسارها التاريخي، فالإسلام دين الاعتدال يدعوا أهله إلى البعد عن الإفراط و التفريط و أن ينهجوا ا نهجا وسطا في سلوكهم الحياتي و يوازنوا بين دنياهم و آخرتهم ، لكن تغير ظروف المجتمع الإسلامي و أحواله أدت إلى ابتعاد بعض المسلمين عن الاعتدال و الإقبال على الدنيا في العصر الأموي ، فاستدعى التوازن ظهور نزعة مقابلة تحث على الزهد في عرض الدنيا طلبا للآخرة مجسدة في ظاهرة التصوف كحركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي كنزعات فردية تدعوا إلى الزهد و شدة العبادة التي يحث الإسلام إلى التمسك بها و العمل من أجلها، فالتصوف جزء من الأجزاء التي يتألف منها التراث الديني و العقلي للإسلام ، خضع كما خضعت غيره من مظاهر الحياة الإسلامية لعوامل نشوء عديدة فظهرت بوادره و جذوره الأولى في العصر الأموي ، هذا الأخير الذي أنفرد به التصوف بمجموعة من الخصائص التي جعلته يتميز عن غيره من الفترات .

دوافع اختيار الموضوع :

إن الدافع في اختيارنا لموضوع "ظهور التصوف في العصر الأموي" يعود لأساب ذاتية و أخرى موضوعية، فالذاتية تتمثل في ميولنا و رغبتنا الشخصية في دراسة هذه الحقبة الزمنية من تاريخ التصوف الإسلامي التي كانت الأرضية الأولى لنشوء و بروز ظاهرة التصوف ، أما الموضوعية فتتمثل في قلة الدراسات الأكاديمية التي تناولت هذا الموضوع ، و محاولة تشجيع و فتح المجال لدراسات أكاديمية مستقبلية حول نفس الدراسة .

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية هذه الدراسة كونها مثلت بالنسبة إلينا تجربة جديدة في البحث حيث أنه حسب علمنا لم يحض هذا الموضوع إلى يومنا هذا لدراسة أكاديمية من جهة ،و من جهة أخرى الوقوف

على الأسباب الحقيقية التي كانت وراء ظهور التصوف في العصر الأموي (41-132هـ/661-750م)

الإشكالية :

حاولنا في هذه الدراسة الإجابة على الإشكالية التالية : ما هي أهم مميزات و خصائص التصوف في العصر الأموي ؟ و تحت هذه الإشكالية تندرج مجموعة من التساؤلات:

- ما هو التصوف ؟ و ما هي مصادره الأولى ؟
- فيما تتمثل عوامل ظهوره و نشأته ؟
- ما هو واقع تأثير و انعكاس التصوف في العصر الأموي ؟

المنهج المتبع :

اعتمدنا في دراستنا للموضوع على المنهج الوصفي التاريخي، القائم على سرد الأحداث و الوقائع بشكل مفصل و دقيق لتوضيح ظهور و نشأة التصوف في العصر الأموي.

الخطة المعتمدة في الدراسة:

يعتبر التصوف الإسلامي موضوع متشعب واسع الميدان لا تفي بعرضه صفحات قليلة، لقد حاولنا قدر الإمكان في هذه الدراسة الإحاطة و الإلمام بالموضوع في مختلف جوانبه، قصد الكشف عن القليل من الغموض المحيط بموضوع بحثنا إرتأينا إتباع الخطة القائمة على ثلاثة مباحث بالإضافة إلى مقدمة و خاتمة .

بدأنا دراسة الموضوع بمقدمة استعرضنا فيها أهمية الموضوع و إشكالياته و المنهج المتبع في الدراسة ، بالإضافة إلى أهم المصادر و المراجع التي اعتمدنا عليها .

جاء المبحث الأول بعنوان: أصول التصوف الإسلامي اندرج تحته ثلاثة مطالب تتمثل في : المطلب الأول تعريفه و إختلاف الباحثين المتصوفة في مفهومه ، و في المطلب الثاني اشتقاق الكلمة ، أما المطلب الثالث فتناولنا فيه منابعه و أصوله.أما المبحث الثاني: فحاولنا فيه إلقاء نظرة على عوامل

ظهور التصوف و لذلك قمنا بتقسيمه إلى ثلاث مطالب : المطلب الأول يتضمن العوامل الدينية. أما المطلب الثاني فعرجنا فيه على العوامل السياسية أما المطلب الثالث فتتبعنا فيه العوامل الإجتماعية و الإقتصادية .

أما بالنسبة للمبحث الثالث و الأخير: فقد خصصناه لدراسة خصائص التصوف في العصر الأموي الذي تنضوي تحته أربعة مطالب: أولها تعرضنا فيه إلى الخصائص الدينية و الإجتماعية التي اتسمت بطابع الزهد ، أما الثاني فتطرقنا فيه إلى مدارس الزهد ، النشأة و التطور إلى غاية نهاية القرن الثاني هجري المتمثلة في ثلاث مدارس هي : (مدرسة المدينة ، البصرة ، الكوفة)، و فيما يخص المطلب الثالث: فيه نقدم أقطاب الزهد في القرنين الأول و الثاني هجري ، أما المطلب الرابع: فقد كان عبارة عن تقصي لآثاره الإجتماعية و الدينية .

في الأخير ذيلنا الدراسة بخاتمة تعرضنا فيها لمجمل نتائج البحث و الدراسة .

التعريف بأهم المصادر و المراجع:

إعتمدنا في بحثنا على مجموعة من المصادر و المراجع ، فمن المصادر التاريخية الهامة التي اعتمدنا عليها في نقل بعض الحقائق الخاصة بالموضوع نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر يأتي في مقدمتها : كتاب " الرسالة القشرية" للقشيري ، فكان هذا المصدر من أهم روافد الدراسة و منابعها الأساسية فأفادنا في ضبط المصطلحات الصوفية.

بالإضافة إلى كتاب "فقه التصوف " و "الصوفية و الفقراء" لابن تيمية الذي استفدنا منه من خلال إحتوائه على معلومات حول التصوف و الصوفية ، و يأتي كتاب " المقدمة " لعبد الرحمان بن خلدون كمصدر أساسي في معالجة موضوع التصوف كموضوع فكري و ثقافي .

و كذا كتاب "الطبقات الصوفية" للسلمي الذي أثرى بحثنا بما يتضمنه من تراجم لشخصيات الصوفية و كل ما يتعلق بها .

بالإضافة إلى مصادر أخرى إعتمدنا عليها مثل كتاب "إحياء علوم الدين" للغزالي و كتاب "تلبيس إبليس " لابن الجوزي و "اللمع" لسراج الدين الطوسي.

أما المراجع المعتمدة في بحثنا فهي كثيرة أهمها كتاب :

"مدخل إلى التصوف الإسلامي" لأبو الوفا الغنيمي التقتازاني الذي ساعدنا في فهم الظاهرة الصوفية في

العصر الأموي و حركة الزهد في القرنين الأول و الثاني هجري.

بالإضافة إلى مراجع أخرى إعتمدنا عليها على نحو مفصل مثل كتاب" التصوف في الأدب و الأخلاق " لزكي مبارك، و كتاب " التصوف " لماسينون و مصطفى عبد الرزاق و قد إستفدنا من هاذين الكتابين كونهما يمسان صميم موضوع دراستنا .

كما يعتبر كتاب " الحياة الروحية في الإسلام " لمحمد مصطفى حلمي من أهم المراجع المعتمدة في بحثنا فقد تناول فيه الكتاب الحياة الروحية في الإسلام بمختلف جوانبها، وساعدنا كتاب "التصوف إيجابياته و سلبياته" لأحمد محمود صبحي في الإحاطة بجوانب الموضوع، خاصة في تتبع آثار التصوف .

في بحثنا هذا اعتمدنا على بعض لدراسات الأكاديمية التي تناولت الموضوع في بعض جوانبه نذكر منها: رسالة تخرج لنيل شهادة الماجستير تحت عنوان " التصوف الإسلامي في المشرق في القرن الثالث الهجري" لموهوبي نور الدين.

صعوبات الدراسة :

كأي بحث أو دراسة ميدانية تعترضها بعض الصعوبات و من بين الصعوبات التي واجهتنا في إنجاز هذا البحث ، صعوبة الموضوع حيث أردنا في البداية تغييره أو تمديد الفترة المدروسة، غير أننا تراجعنا عن ذلك رغبة منا في دراسة هذه الفترة الغامضة من تاريخ التصوف ، فواجهتنا العديد من الصعوبات منها قلة المصادر و المراجع المرتبطة بهذه الفترة و افتقار مكتبة الجامعة إلى الكتب المتعلقة بهذا الموضوع ، و كذا بعد المكتبة الوطنية .

تضارب و اختلاف التعاريف و التواريخ في الكثير من الأحيان مما صعب علينا عملية البحث .

و في الأخير نتمنى أن نكون قد أعطينا و لو فكرة بسيطة عن الموضوع قيد الدراسة ، و أن تكون مذكرة قد استوفت على الأقل أهم أهدافها و أن تكون قد فتحت أبواب البحث المتواصل في هذا الموضوع العام.

المبحث الأول:

أصول التصوف الإسلامي

المطلب الأول: تعريف التصوف

المطلب الثاني: اشتقاق الكلمة

المطلب الثالث: مصادره ومنابعه الأولى

1/أصول التصوف الإسلامي:

مما لا شك فيه أن ظاهرة تعريف التصوف من القضايا الشائكة نظرا لعدم وجود تعريف دقيق وشامل للتصوف، وقد اعتمدنا لذلك على المصادر الأساسية أو تعريفات كبار المتصوفة من بينهم ابن خلدون

1/تعريف التصوف:

التصوف مصدر الفعل الخماسي المصوغ من "صوف" للدلالة على لبس الصوف ومن ثم كان المتجرد لحياة الصوفية يسمى في الإسلام صوفيا[1]، يقول القشيري[2] (465هـ/1072م) "ليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق والأظهر فيه أنه كالقلب، ثم هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة، فيقال: رجل صوفي" وللجماعة "صوفية" ومن يتوصل إلى ذلك يقال له: "متصوف" وللجماعة "المتصوفة".[3]

وكلمة تصوف لم توجد في اللغة العربية إلا في القرن الثاني هجري، وأول من سمي بالصوفي هو أبو هاشم الصوفي[4] في القرن الثاني هجري، وكان المتصوفون في القرن الأول النساك والقراء والزهاد والفقراء. حتى ظهر في القرن الثاني لفظ تصوف وصوفي[5] وفي تعريف الصوفي توصل ابن سينا (370هـ/980م) إلى تعريف جامع شامل عندما حاول أن يفرق بين الزاهد والعابد والعارف ويقصد

---

[1] – ماسينون ومصطفى عبد الرزاق، **التصوف** ، ط1،دار الكتاب اللبناني، 1984م، ص 25.

[2] – القشيري: هو أبي القاسم عبد الكريم القشيري من علماء القرن الخامس الهجري توفي سنة (465هـ/1072م)، أنظر، أبو القاسم القشيري ،**الرسالة القشيرية**،تح،عبد الحكيم محمود وبن الشريف،د ط،دار الشعب،القاهرة،1409هـ-1989م ، ص 4. انظر الملحق رقم :1

[3] –أبو القاسم القشيري، نفسه، ص 464.

[4] – أبو هاشم الصوفي: ترجم له أبو نعيم الأصبهاني ووصفه بالزهد ونقل بعض أقوله وأحواله ولم يذكر له إسما ولا نسبا سوى أبو هاشم الزاهد توفي 150هـ/767م أنظر ،فلاح بن إسماعيل بن أحمد،**العلاقة بين التشيع و التصوف**،مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه،إشراف عبد الله بن محمد الغنيمان،جامعة الإسلامية،المملكة السعودية1411هـ، ص 114.

[5] – محمد عبد المنعم خفاجي، **التصوف في الإسلام وأعلامه**، ط1،دار الوفاء ،الإسكندرية، مصر ، 2002م، ص 8.

بالأخير الصوفي، فقال: "إن الزاهد هو المعرض عن متاع الدنيا وطيباتها، والعابد هو المواظب على القيام بالعبادات من صلاة وصيام وقيام وغيرها أما العارف فهو ذلك الإنسان المنصرف بفكره إلى الله مستديما لشروق نور الحق في سره"[1].

والنتيجة التي توصل إليها ابن سينا هي اجتماع الزهد والعبادة في التصوف، فالتصوف اسم جامع لمعاني عديدة كالفقر والزهد والنسك والعبادة وغيرها من المعاني التي تندرج تحت التصوف كمفهوم.[2]

يعتبر الصوفية من جملة الزهاد، إلا أن الصوفية انفردوا على الزهاد بصفات وأحوال وترسموا بصفات، والتصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي، فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من التزهد.[3]

للتصوف جانبان: جانب عملي ظاهر، وجانب روحي باطن، فالجانب الأول يشمل مجاهدة والنفس وفطامها عن شهوتها وقطع علاقتها بدنيا اللهو والغرور وصبغها بصبغة التقوى، وإلزامها بآداب الدين، وقيامها بحقوق المسلمين، وفي هذا الجانب الأول تتخلص النفس من عيوبها، وهي ناحية خلقية ونفسية، ويعبر الصوفية عن هاتين الناحيتين بالتخلي والتحلي: التخلي عن العيوب والرذائل، والتحلي بالكمالات والفضائل، فإذا صح التحلي والتخلي، تهيأ القلب للتجلي، والمكاشفة بحقائق الغيب ومعاني اليقين، والوصول إلى مقام الإحسان، والاستنارة بالمعرفة، وهذا هو الجانب الروحي الباطني من التصوف.

[1] – منال عبد المنعم، جاد الله، **التصوف في مصر والمغرب**،د ط، منشأة المعارف، الإسكندرية،دت، ص 118.

[2] – نفسه،ص118.

[3] – عبد الرحمان بن الجوزي، **تلبيس إبليس**،ط1، دار ابن حزم ، بيروت، لبنان، ، 1426م، ص 178.

ويجمعها قول الله سبحانه وتعالى: " وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ" العنكبوت/69).[1]

التصوف علم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والإنفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف، فلما فشي الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة.[2]

يقول أبي حامد الغزالي[3] بالإسناد عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم "لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء و الصبر ،هم جلساء الله تعالى يوم القيامة " فالفقر كائن في ماهية التصوف وهو أساسه وبه قوامه.

قال رويم[4]: التصوف مبني على ثلاثة خصال: التمسك بالفقر والافتقار، والتحقق بالبذل والإيثار، وترك التعرض والاختيار، وقال الجنيد وقد سئل عن التصوف فقال: أن تكون مع الله بلا

[1] – حسن الشافعي وأبو اليزيد العجمي، **في التصوف الإسلامي**،ط1 ، دار السلام، القاهرة، مصر، 1428هـ، 2007م، ص 24.

[2] – ابن خلدون، **المقدمة**،ط1، دار ابن حزم، مصر، القاهرة، 2010م، ص 403.

[3] الغزالي: هو محمد بن أحمد الملقب بحجة الإسلام، كان والده يشتغل بغزل الصوف، كان الغزالي فقيها متكلما قيل توفي سنة 450هـ/1058م و قيل سنة (451هـ/1059م) أنظر،أبي حامد الغزالي،**إحياء علوم الدين**،مج 5،ط1،دار الكتب العلمية،لبنان،2008م،ص5.

[4] – رويم: بن أحمد البغدادي هو من بغداد وجلة مشايخها كان فقيها ومقرئا توفي سنة (303هـ– 915م)، أنظر القشيري، مصدر سابق ،ص 57.

علاقة، وقال معروف الكرخي [1]: التصوف الأخذ بالحقائق والبأس مما في أيدي الخلائق، فمن لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بالتصوف.[2]

من أنبل مهام التصوف وخدماته للأمة أنه يحفز نفوس السالكين للتعلق بالمثل العليا، والسعي لتحقيق نوع من البطولة الخلقية ، إذ يحاول السالك أن ينتصر على نفسه وهواه وأن يتشبه بأخلاق مولاه عز وجل قدر طاقته، مؤتسيا بمظهر الكمال الإنساني محمد صلى الله عليه و سلم.[3]

يقول الغزالي قال أبو حفص[4]التصوف كلمة آداب، لكل وقت أدب ولكل حال أدب، ولكل مقام أدب، قال أبو السراج عن محمد الجريري عن التصوف فقال: الدخول في كل خلق سني، والخروج عن كل خلق دني، فإذا عرف هذا المعنى في التصوف من حصول الأخلاق وتبديلها واعتبر حقيقته، يعلم أن التصوف فوق الزهد وفوق الفقر، وقيل: نهاية الفقر مع شرفه هو بداية التصوف[5]يقول إبراهيم تركي أن أبي العباس المرسي يرى أن "الصوفي مركب من أربعة حروف،الصاد والواو والفاء والياء، فالصاد صبره وصدقه وصفاؤه، والواو وُجدُه ووده ووفاؤه، والفاء فقده وفقره وفناؤه، والياء ياء النسبة وإذا اكتمل فيه ذلك أضيف إلى حضرة مولاه.[6]

ينقل لنا الغزالي عن ذي النون المصري[7] قوله "الصوفي من لا يتبعه طلب ولا يزعجه سلب، وقال بعضهم الصوفي من إذا استقبله حالان حسنان أو خلقان حسنان، يكون مع الأحسن، والفقير

---

[1] –الكرخي: هو معروف الكرخي يلقب بالزاهد وهو من جلة المشايخ وقدمائهم المعروفين بالورع والفتوة كان أستاذ سري السقطي وصحب داوود الطائي مات ودفن ببغداد، أنظر،أبي عبد الرحمان السلمي، **الطبقات الصوفية**، ط 2 ، دار الكتب العلمية ،بيروت–لبنان،1424هـ–2003م ص 29.

[2] – أبي حامد الغزالي، مصدر سابق، ص 86.

[3] – حسن الشافعي ، مرجع سابق، ص 25.

[4] – أبو حفص: النيسابوري هو من أهل قرية يقال لها كورداباذ على باب مدينة نايسابور كان أحد الأئمة والسادة توفي سنة 270هـ وقيل 267هـ، أنظر، السلمي،نفسه ، ص 37.

[5] – أبي حامد الغزالي، نفسه، ص 87.

[6] – إبراهيم محمد تركي، **التصوف الإسلامي أصوله وتطوراته**،ط1، دار الوفاء، الإسكندرية ، 2007م، ص 28.

[7] ذي النون المصري: صوفي عاش طويلا في مصر توفي 245هـ كان له مكانة ملحوظة في عصره وله أثر عظيم في الفكر المصري، فهو أول من تكلم في الأحوال والمقامات والحب الإلهي، أنظر محمد عبد المنعم خفاجي، مرجع سابق، ص25.

والزاهد لا يميزان كل تمييز بين خلقين الحسنين، بل يختاران من الأخلاق أيضا ما هو أدعى إلى الترك والخروج عن شواغل الدنيا حاكمان في ذلك بعملهما، والصوفي المستبين الأحسن من عند الله بصدق التجائه وحسن إنابته وقال بعضهم: التصوف أوله علم وأوسطه عمل وآخره موهبة من الله تعالى"[1]

ورد في الموسوعة الفلسفية العربية في تعريف التصوف أنه" فلسفة حياة تهدف إلى الترقي بالنفس أخلاقيا وتتحقق بواسطة رياضات عملية معينة تؤدي إلى الشعور في بعض الأحيان بالفناء في الحقيقة الأسمى والعرفان بها ذوقا لا عقلا، وثمارتها السعادة الروحية ويصعب التعبير عن حقائقها بألفاظ اللغة العادية.[2].

كما ورد في معجم المصطلحات العربية أن التصوف:" هو التجرد تماما من مباهج الدنيا ومفاتنها، ومحاولة التخلص من الجسد ذلك الحجاب الكثيف الذي يحول دون التمتع بالنور الإلاهي الفياض على الكون، والفناء في الذات العليا فناءا يقترن بالعشق الإلاهي"، ومن خلال هذين التعريفين يتبين لنا أن للتصوف عدة أبعاد نجملها في ثلاثة معاني رئيسية:

-المعنى الأول: هي أن التصوف ترق، وسمو خلقي للنفس البشرية بغية الوصول إلى تحقيق الفضائل الإنسانية، والقيم الخلقية النبيلة.

المعنى الثاني: الفناء في الذات الإلاهية، وهي تجربة ذاتية، وحالة نفسية خاصة لا يعود فيها الصوفي يشعر بذاته، لأنها فنيت في الذات الإلاهية فيصبح لا يشعر بوجوده ولا بالعالم من حوله لأنه فني عن ذاته، وعن الوجود.

[1] – أبي حامد الغزالي، مصدر سابق، ص 88.

[2] –عبد الحميد هيمة، **الخطاب الصوفي وآليات التأويل**،د ط، موفم للنشر، الجزائر، 2008م، ص 64.

المعنى الثالث: وهي المعرفة الذوقية المباشرة، فالصوفية تؤسس لطريقة جديدة في المعرفة قوامها الذوق والحدس، لا العقل والمنطق، وهذا لا يتحقق إلا بتصفية القلب.[1]

والزهد عندهم هو القناعة بالدون من المطعم والملبس فحسب، فهم يقنعون بذلك ومن الزهاد من يستعمل الزهد ظاهرا وباطنا، لكنه قد علم أنه لا بد أن يتحدث بتركه الدنيا أصحابه وزوجته، ومن المتزهدين من قوته الانقطاع في مسجد أو رباط أو جبل، فلذته علم الناس بانفراده، ومن هؤلاء قوم لو سئل أحدهم أن يلبس اللين من ثوبه ما فعل لئلا يتوكس جاهه في الزهد، ولو خرج لم يأكل والناس يرونه، ويحفظ نفسه من التبسم فضلا عن الضحك، ومن الزهاد من يلبس الثوب المخرق فلا يخيطه ويترك إصلاح عمامته، وتسريح لحيته، ومن الزهاد من يلزم الصمت الدائم وينفرد عن مخالطة أهله.[2]

ما يمكن أن نستنتجه من هذا هو أن تحديد مفهوم التصوف أمر صعب نوعا ما، وهناك من يسوي بين التصوف والزهد، ويرى أن كلمة صوفي قد تحمل معنى زاهد، غير أن الزهد شيء والتصوف شيء آخر، فلا يلزم من كون الصوفي زاهدا أن يكون التصوف هو الزهد، وقد ميز الكثير من العلماء بين التصوف والزهد من بينهم ابن الجوزي.

[1] – عبد الحميد هيمة،مرجع سابق ص 65.

[2] – ابن الجوزي، مصدر سابق، ص ص167–172.

2/اشتقاق الكلمة:

إذا كان لفظ التصوف من الألفاظ الشائعة التي تم تداولها، فإن المعنى الاشتقاقي لهذه اللفظة لم يكن موضع اتفاق بين الكتاب والمؤرخين في مجال التصوف الإسلامي، فكان اشتقاق الكلمة سبب في إثارة الجدل حول هذه اللفظة، فرتأينا تعقب هذه الكلمة لمعرفة أي هذه الآراء أرجح.

تحتمل كلمة التصوف أربعة فروض الأول أن يكون الصوفي منسوب إلى صوفه، والثاني أن يكون منسوب إلى الصوف، والثالث أن يكون مشتقا من الصفاء، والرابع أن يكون منسوبا إلى كلمة سوفيا اليونانية. أما صوفة الذي قيل: أن الصوفي نسب إليه، فهو اسم رجل كان انفرد بخدمة الله سبحانه وتعالى عند بيته الحرام، اسمه الغوث ابن مر، فانتسب الصوفية إليه لمشابهتهم إياه، في الانقطاع إلى الله[1]، كانت أمه قد ندرت إن عاش لها ولد أن تهبه لبيت الله وتجعله ربيب الكعبة.[2]

يقول ابن الجوري: أنبأنا محمد ابن ناصر، عن أبي إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال، قال أبو محمد عبد الغني الحافظ، سألت وليد ابن القاسم، إلى أي شيء نسب الصوفي؟ فقال: كان قوم في الجاهلية يقال لهم صُوفة، انقطعوا إلى الله عز وجل وقطنوا الكعبة فمن تشبه بهم فهم الصوفية، قال عبد الغني: هؤلاء المعروفون بصوفة ولد الغوث بن مر أخي تميم ابن مر.

وبالإسناد إلى الزبير ابن بكار قال: كانت الإجازة بالحج للناس من عرفة إلى الغوث ابن مر بن أُدْ بن طابخة، ثم كانت في ولده و كان يقال لهم صوفة، فكان إذ حانت الإجازة قالت العرب أجيزي صوفة.[3]

قال ابن الجوزي قال ابو عبيدة صوفة وصوفان يقال لكل من ولي من البيت شيئا من غير أهلها أو قام بشيء من أمر المناسك يقال لهم، صوفة وصوفان، قال الزبير: وحدثني إبراهيم ابن

[1] -زكي مبارك، **التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق**، ج1،دط ، المكتبة العصرية، بيروت،د ت ص 41.

[2] – ابراهيم محمد تركي، مرجع سابق، ص 29.

[3] – ابن الجوزي، مصدر سابق، ص 178–179.

المنذر، عن عبد العزيز ابن عمران، قال: أخبرني عقال ابن شبة قال: قالت أم تميم ابن مر وولدت نسوة فقالت: لله عليَّ إن ولدت غلاما لأعبدنه للبيت، فولدت الغوث ابن مر، فلما ربطته عند البيت أصابه الحر فمرت به وقد سقط واسترخى، فقالت: ما صار ابني إلى صوفة، فسمي صوفة، وكان الحج وإجازة الناس من عرفة إلى منى ومن منى إلى مكة لصوفة، فلم تزل الإجازة إلى عقب صوفة حتى أخذتها عدوان فلم تزل في عدوان حتى أخذتها قريش.[1]

الفرض الثاني أن يكون الصوفي منسوبا إلى الصوف، ويعتبر هذا الفرض أصح الفروض، ولتأييد هذا الفرض بشواهد كثيرة فقد حدث اليافعي: إن لباس الصوف كان غالبا على المتقدمين من سلف الصوفية، لأنه أقرب إلى الخمول والتواضع والزهد، ولكونه لباس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.[2]

وبالإسناد عن أنس ابن مالك[3] قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يجيب دعوة العبد ويركب الحمار ويلبس الصوف، فمن هذا الوجه ذهب قوم إلى أنهم سموا صوفية نسبة لهم إلى ظاهر اللبسة، لكونه لباس الأنبياء.

روي عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال: "مر بالصخرة من الروحاء سبعون نبيا حفاة عليهم العباء يؤمون البيت الحرام".

وقيل: إن عيسى عليه السلام كان يلبس الصوف والشعر ويأكل من الشجر ويبيت حيث أمسى.[4]

---

[1] – ابن الجوزي، مصدر سابق، ص 179.

[2] – زكي مبارك، مرجع سابق، ص43– 44.

[3] –أنس بن مالك: هو خادم الرسول (ص) ونزيل البصرة، عاش في بيت النبوة ووقف من أحوال النبي (ص) وأفعاله على الشيء الكثير، استقر بالبصرة بعد المدينة، وتصدر للرواية ، وروي لأنس1286 حديثا توفي خارج البصرة ودفن في موضع يعرف بقصر أنس توفي سنة 179هـ/795م أنظر، مصطفى الشكعة، **إسلام بلا مذاهب**،ط6، الدار المصرية اللبنانية،د ت، ص 423.

[4] –أبي حامد الغزالي، مصدر سابق، ص89.

قال الحسن البصري[1] ، لقد أدركت سبعين بدريا كان لباسهم الصوف ووصفهم أبو هريرة[2] وفضالة ابن عبيد فقالا: كان يخرون من الجوع حتى تحسبهم الأعراب مجانين، وكان لباسهم الصوف حتى أن بعضهم كان يعرق في ثوبه فيوجد منه رائحة الضأن إذا أصابه الغيث، وهذا الاختيار يلائم ويناسب من حيث الاشتقاق، لأنه يقال: "التصوف" إذا لبس الصوف، كما يقال "تقمص" إذا لبس القميص.[3]

يقول سراج الدين الطوسي (توفي سنة 378هـ/988م) : " نسب الصوفية إلى ظاهر اللبس، لأن لبس الصوف دأب الأنبياء عليهم السلام وشعار الأولياء والأصفياء"، هذا وقد كانت دلالة لبس الصوف، على الزهد والعبادة مسلما بها لدى المسلمين الأوائل، وفي ذلك يقول الكلا باذي توفي سنة (380هـ/990م)ومن لبسهم وزيهم سموا صوفية، لأنهم لم يلبسوا ما لأن ملمسه وحسن منظره، وإنما تحروا الخشن من الشعر والغليظ من الصوف"[4]وقال ابن خلدون (808هـ/1406م) والأظهر إن قيل بالاشتقاق أنه من الصوف، وهم في الغالب مختصون بلبسه، لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف.[5]

وقيل : سموا صوفية لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل بارتفاع هممهم وإقبالهم على الله عز وجل بقلوبهم ووقوفهم بسرائرهم بين يديه وقيل: كان هذا الاسم في الأصل صفوي فاستثقل ذلك وجعل صوفيا، وقيل سموا صوفية نسبة إلى الصفة التي كانت لفقراء المهاجرين على عهد الرسول

[1] – الحسن البصري: إمام كبير أثرت عنه الأقوال الكثيرة في ذم الدنيا والخوف من الله وكان يعتبر المثل الأعلى للصوفية في الزهد والورع عرف بحلقته حلقة الحسن البصري، أنظر:نور الدين موهوبي، **التصوف الإسلامي في المشرق في القرن الثالث هجري**،مذكرة لنيل شهادة تمهيدية ماجستير،إشراف صبيحة الخطيب،جامعة الجزائر1985م، ص 9.

[2]– أبو هريرة: رضي الله عنه هو عبد الرحمن ابن صخر وكنيته أبو هريرة أسلم وقدم على النبي صلى الله عليه و سلم عام خيبر، وهو أحفظ من روى الحديث في دهره وجاء عنه من الحديث 5374 حديثا، توفي بالمدينة سنة 57هـ عن عمر يناهز 78 عاما رضي الله عنه، أنظر، محمد أبو زهو، **الحديث والمحدثون**،ط1،د د،د م،.1378هـ/1958م،ص132.

[3] –أبي حامد الغزالي، مصدر سابق، ص 89، 90.

[4]– أبي نصر السراج الطوسي، **اللمع في التصوف** ،تح ،عبد الحليم محمود وعبد الباقي سرور،د ط، دار الكتب الحديثة، مصر ، 1370هـ/1960م، ص 40.

[5] – ابن خلدون، مصدر سابق، ص 404.

صلى الله عليه و سلم، الذين قال الله تعالى فيهم: "لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ" (سورة البقرة الآية 273).[1]

الفرض الثالث نسبة إلى الصفاء[2] أو الصفو لصفاء أسرار أصحابها ونقاء أثارهم[3]، ينقل ابراهيم تركي عن بشر الحافي قوله (227هـ/842م)، الصوفي من صفا الله قلبه" وعن أبو تراب النخشي[4]: " الصوفي لا يكدره شيء ويصفو به كل شيء" ويقول سهل بن عبد الله التستري (توفي 297هـ/910م)[5] "الصفوي من صفا من الكدر وامتلأ من الفكر وانقطع إلى من البشر" وعن أبو الحسن النوري (المتوفي سنة 295هـ/908م) "الصوفية قوم صفت قلوبهم من كدورات البشرية وآفات النفوس وتحللوا من شهواتهم".

وقد استبعد صحة هذا الفرض من بعض الصوفية من بينهم القشيري وهو من أقطاب الصوفية.

أما الفرض الرابع هو نسبتها إلى سوفيا اليونانية، وقد أشار إلى ذلك بعض المستشرقين استنادا إلى ما قرره البيروني المتوفى سنة (44هـ/644م) من وجود صلة بين اسم الصوفي والكلمة اليونانية سوفيا.[6]

وكلمة سوفيا اليونانية معناها الحكمة ومنها فيلسوف أي محب الحكمة وكانت الفلسفة عند اليونان القدماء تهتم بالعلوم الطبيعية، وكان الكثير من فلاسفتهم أطباء، وقد ترجمها العرب فسموا

---

[1] – أبي حامد الغزالي، مصدر سابق، ص 90، 91.

[2] –زكي مبارك، مرجع سابق، ص45.

[3] – أحمد توفيق عياد، **التصوف الإسلامي تاريخه ومدارسه وطبيعته وآثاره**،د ط، مكتبة الأنجلو المصرية،د م، 1970م، ص1 .3

[4] – النخشبي :هو من مشايخ خرسان، المذكورين بالعلم والفتوة والتوكل والزهد والورع،أنظر:السلمي، مصدر سابق،ص46.

[5] –التستري : أحد الأئمة والمتكلمين في علوم الرياضيات والإخلاص وعيوب الأفعال اختلف في تاريخ وفاته،أنظر، السلمي،نفسه، ص 37.

[6] – إبراهيم محمد تركي، مرجع سابق، ص 25– 26.

الطب الحكمة وكلمة حكيم لا تزال تؤدي معنى كلمة طبيب، والفلسفة نفسها سماها العرب الحكمة، وقالوا تاريخ الحكماء، فهم عرفو من سوفيا الفلسفة والطب.

أما الحكمة الروحانية فمن البعيد أن يكونوا لمحوها لأنهم كانوا يرون اليونان من عبدة الأوثان، ولو كان التصوف من سوفيا لنصوا عليه في كثير من المؤلفات فلم يبقى أن يكون ورودها في كلام البيروني بابا في الإغراب.[1]

وقد بقيت فروض لا تقوى على احتمال البحث كالنسبة إلى الصف بالفتح والصفة بالضم، والصفة بالكسر، وعند التأمل نجد هذه الفروض لم تعرف إلا بعد الصدر الأول، حين استقل الصوفية نسبتهم إلى الصوف.[2]

ونفس التأكيد نجده عند أحمد أمين حيث يقول "وقد اختلف الناس في نسبة الكلمة" هل هي من الصفة أو الصفاء أو من سوفيا أو من الصوف ونحن نرجح أنها نسبة إلى الصوف لأنهم في أول أمرهم كانت هذه الفرقة تلبس الصوف"[3].

وبالتالي فإن أرجح الأقوال وأقربها إلى العقل مذهب القائلين بأن الصوفية نسبة إلى الصوف وأن المتصوف مأخوذ منه أيضا فيقال إذا لبس الصوف ولهذا القول وجه سائغ في الاشتقاق، فهو مختار من كبار علماء الصوفية مثل صاحب اللمع وشارح الرسالة القشيرية ومن غيرهم ابن خلدون وابن تيمية، فخلاصة القول فإننا نرجح الرأي القائل أن التصوف نسبة إلى الصوف باعتباره الرأي الراجح عند جمهور العلماء.

[1] – زكي مبارك، مرجع سابق، ص 54– 55.

[2] – نفسه، ص 55.

[3] –نور الدين موهوبي،مرجع سابق ، ص5.

3/مصادره و منابعه الأولى:

إن مسألة المصدر الذي صدر عنه التصوف الإسلامي في البداية واستمد منه أسسه وقواعده، والروافد التي أمدته عبر تطوره وإنتقاله من مرحلة إلى أخرى في تاريخه الطويل لازالت مثار جدل وموطن خلاف، وتضارب في الآراء، فهناك من يراه إسلاميا في أصله، وعوامل تطوره وكافة ظواهره، وآخر يراه وافدا على بيئة الإسلام وطبيعة الحياة العربية، وهكذا تعددت الآراء وتباينت وجهات النظر.

أ–المصادر الإسلامية:

كان التصوف عند أول تكونه العلمي، أخلاقا دينية فمن الطبيعي أن يكون مصدره الأول إسلاميا، فقد استمد من القرآن والسنة وأحوال الصحابة وأقوالهم.

1/القرآن الكريم:

مع أنه قد سبقت الإشارة إلى خلو القرآن الكريم من كلمتي " صوفي" و " تصوف" ومشتقاتهما، فإننا نستطيع أن نشير إلى أثر القرآن الكريم في نشأة التصوف.[1] وجميع مقامات الصوفية وأحوالهم، التي هي موضوع التصوف أساسا مستندة إلى شواهد من القرآن الكريم، وسنشير فيما يلي إلى آيات من القرآن الكريم التي تستند إليها بعض تلك المقامات والأحوال.[2] فالمتصوفة يرجعون تعاليمهم إلى القرآن وأحكامهم جميعا قائمة على أساس الشريعة.[3]

مع أن بعض آيات القرآن تشير إلى إباحة متع الحياة الدنيا، وذلك في مثل قوله تعالى: "وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا" (سورة القصص/77)،

[1] – إبراهيم محمد تركي، مرجع سابق، ص 90.

[2] –أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، **مدخل إلى التصوف الإسلامي**،دط، دار الثقافة ، القاهرة، د ت ،ص 39.

[3] – أحمد توفيق عياد، مرجع سابق، ص 18.

و "قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ" (سورة الأعراف/32) فإن آيات كثيرة تشير إلى ازدراء هذه الحياة وتستهجن التمسك بها، أي بهذه المتع أو الإعجاب بها، ففي ازدراء هذه الحياة نجد مثلا الآيات: "وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ " (سورة الحديد/ الآية 20) و "زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ" (سورة آل عمران/ الآية 14).[1]

تستند مجاهدة النفس، التي هي بداية الطريق إلى الله إلى آيات مثل: قوله تعالى: "وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ" (سورة العنكبوت/69) ومثله قوله تعالى: "وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ(40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ" (سورة النازعات/40، 41).[2]

ومقام مثل مقام التقوى يمكن أن يكون مستندا عندهم إلى قوله تعالى: "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ" (الحجرات/13) ومقام الزهد يستند عندهم إلى آية مثل: "قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ" (النساء/77) ومقام التوكل يستند عندهم إلى مثل قوله تعالى: "وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ" (الطلاق/3)، ومقام الشكر مستمد من الآية مثل: "لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ" (إبراهيم/7).[3]

ومقام الصبر مستند إلى آية مثل: "واصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ" (النحل/127)، أما مقام الرضا فمذكور في قوله تعالى: "رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ" (المائدة/119)، ومقام الحياء يمكن أن يرد إلى قوله تعالى: "أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ" (العلق/14)، وهناك مقامات أخرى منها مثلا الفقر (بمعنى الافتقار إلى الله)، وهذا يستند عند الصوفية إلى آية مثل: "لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ" (البقرة/273)، وإلى الآية مثل: "وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ" (محمد/38).

[1] – إبراهيم محمد تركي، مرجع سابق، ص 90.

[2] – أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، مرجع سابق، ص 39.

[3] – نفسه، ص 40.

وهناك أيضا مقام المحبة المتبادلة بين العبد والرب، وهو مشار إليه صراحة في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ" (المائدة/54)، وكلام الصوفية في المعرفة الحاصلة عن التقوى والتخلف والإلهام ،[1] وقبول الأعمال لا يكون إلا مع كمال التقوى.[2]

أما الأحوال فمستندة أيضا إلى القرآن: فهناك مثلا حال الخوف الذي يستند إلى قوله تعالى: "يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا" (السجدة/16)، وحال الرجاء الذي يستند إلى آية مثل: "مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ" (العنكبوت/5)، وحال الحزن الذي يستند إلى قوله تعالى: "وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ" (فاطر/34)، بل أن بعض رياضات الصوفية العملية: وأهمها الذكر، يمكن ان يوجد له مصدرا من القرآن الكريم، فالذكر يستند إلى قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا" (الأحزاب/41).[3]

ومعنى الولاية (مولاة الله بالطاعات) يستند إلى قوله تعالى: "ألا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ" (يونس/62).

والدعاء عند الصوفية وهو رياضة عملية لها آدابها عندهم، يستند إلى شواهد قرآنية كثيرة مثل قوله تعالى: "وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ" (غافر/60).

ومما سبق يتبين أن البذور الأولى للتصوف الإسلامي من حيث هو علم للمقامات والأحوال، أو بعبارة أخرى من حيث هو علم للأخلاق الإنسانية والسلوك الإنساني موجودة في القرآن الكريم، ومن هنا يكون التصوف من حيث نشأته الأولى آخذا من القرآن الكريم.[4]

[1] – أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، مرجع سابق، ص 40، 41.

[2] – محمود أبو الفيض المنوفي، **التصوف الإسلامي الخالص**،د ط، دار النهضة، الفجالة، القاهرة،د ت، ص 59.

[3] –أبو الوفا الغنيمي، نفسه، ص 41، 42.

[4] – نفسه، ص 42.

2/السنة النبوية:

كما كان القرآن الكريم منبعا استقى منه الصوفية تصوفهم، كذلك كانت حياة النبي صلى الله عليه و سلم التعبدية وأخلاقه وأقواله مصدرا من مصادر التصوف وفيما يلي سنحاول بيان ذلك.

تعتبر السنة النبوية المطهرة أحد المصادر الأساسية للتصوف الإسلامي، كانت حياة الرسول صلى الله عليه و سلم تتضمن أقوال وأفعال ذات مغزى روحي[1]. لذلك يمكننا التمييز في حياة النبي بين فترتين حياته قبل أن يبعث رسولا، وحياته بعد البعثة، وفي كل فترة من هاتين الفترتين وجد الصوفية لأنفسهم مصدرا غنيا فيما استمدوه من صنوف العلم وضروب العمل.[2] فإنه من الثابت أن أحاديث الرسول (ص) وسيرته فيها حث على الزهد.[3]

الزهد في الإسلام معناه ارتفاع الإنسان بنفسه فوق شهواتها، وهذا معناه أن يتحرر تماما من كل ما يعوق حريته، وللإسلام مفهوم خاص للزهد، فهو ليس رهبانية أو انقطاعا عن الدنيا، وإنما هو معنى يتحقق به الإنسان، يجعله صاحب نظرة خاصة للحياة الدنيا، يعمل فيها ويكد، ولكنه لا يجعل لها سلطانا على قلبه ولا يدعها تصرفه عن طاعة ربه.[4]

والزهد في اللغة معناه العام خلاف الرغبة، يقال زهد في الشيء وزهد عن الشيء، والتزهيد في الشيء خلاف الترغيب فيه أما الزهد بمعناه اللغوي الخاص فله مدلول ديني بمعنى عدم الرغبة في الدنيا وعدم الحرص عليها، وهو بذلك سلوك تعبدي إذ يقال فلان يتزهد بمعنى يتعبد.

لكن الزهد في مفهومه الاصطلاحي لا يقتصر على ذلك المعنى البسيط الذي تشير إليه معاجم اللغة وإنما هو مفهوم معقد جدا إلى درجة لا تمكن كثيرا الباحثين من القول فيه بقول فصل في مسماه ولا في معناه، فكثرت في ذلك الأقوال وتعددت فقال فيه سفيان الثوري: "الزهد في الدنيا

[1] -إبراهيم محمد تركي، مرجع سابق، ص 92.

[2] – أبو الوفا الغنيمي، مرجع سابق، ص 43.

[3] – إبراهيم محمد التركي، نفسه، ص 92.

[4] – أبو الوفا، نفسه، ص 59.

قصر الأمل ليس بأكل الغليظ ولا لبس العباء"، وقال ابن تيمية "الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة".[1] يقول ابن الجوزي: "قد يسمع العامي ذم الدنيا في القرآن والأحاديث (الترميذي 22-23/ ابن ماجة 4112) فيرى أن النجاة تركها، ولا يدري ما الدنيا المذمومة، فيلبس عليه إبليس بأنك لا تنجو في الآخرة إلا بترك الدنيا فيخرج على وجهه إلى الجبال، فيبعد عن الجمعة والجماعة والعلم ويصير كالوحش ويخيل إليه أن هذا هو الزهد الحقيقي".[2]

إذا تأملنا حياة النبي (ص) قبل نزول الوحي لوجدنا أنها تنطوي على معاني الزهد والتقشف والانقطاع وتأمل في الكون، لقد كانت حياة النبي في غار حراء بما فيها من تحنث وتقلل في المأكل والمشرب وتأمل في الكون، صورة أولى للحياة التي سيحياها فيما بعد الزهاد والصوفية، فكان تحنثه في غار حراء تمهيدا لنبوته، حتى نزل عليه جبريل بالوحي، فقال له: اقرأ، فقال له الرسول ما أنا بقارئ، حتى أمره جبريل بأن: "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ* خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ" (العلق/ الآية 1 إلى 5).[3]

قد أشار الإمام الغزالي إلى استناد الصوفية في هذا المسلك إلى عزلة النبي (ص) قائلا: "الفائدة الأولى (للعزلة) التفرغ للعبادة والفكر والاستئناس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الخلق، والاشتغال باستكشاف أسرار الله تعالى في أمر الدنيا والآخرة وملكوت السماوات والأرض، فإن ذلك يستدعي فراغا ولا فراغ مع المخالطة، فالعزلة وسيلة إليه، فالعزلة أولى بهم (أي الصوفية) ولذلك كان صلى الله عليه و سلم، في ابتداء أمره يتبتل في غار حراء، وينعزل إليه حتى قوى فيه نور النبوة، فكان الخلق لا يحجبونه على الله، فكان ببدنه مع الخلق، وبقلبه مقبلا على الله تعالى"[4]

---

[1] – محمد بركات البيلي، **الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن 5ه**،د ط، دار النهضة العربية القاهرة، 1993م، ص 6- 7.

[2] – ابن الجوزي، مصدر سابق، ص 164.

[3] – أبو الوفا الغنيمي، مرجع سابق، ص 43.

[4] – نفسه، ص 43، 44.

فكان الرسول (ص) يتهجد في غار حراء في شهر رمضان من كل عام واعتزاله الناس، ذلك ليحي حياة روحية خالصة، حتى صفت روحه وسقل قلبه إستعدادا لتلقي النور الإلهي والتنزيل الرباني، وقد كان ذلك بمثابة البذرة التي انبثق منها زهد الزهاد والأساس الأول الذي أقيم عليه تصوف الصوفية.[1]

أما عن حياة النبي (ص) بعد نزول الوحي عليه فكانت أيضا متصفة بالزهد والتقلل في المأكل والمشرب، حافلة بالمعاني الروحية، التي وجد فيها الصوفية منبعا فياضا لهم، فقد كان النبي (ص) آخذا نفسه بالتقشف كثير العكوف على العبادة والتهجد، حتى نهاه القرآن عن ذلك في قوله تعالى: "طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى" (طه/1-2).[2]

كانت حياته صلى الله عليه و سلم، بعد البعثة أسوة للزهاد والمتصوفة، إذ روي أنه كان يقوم الليل حتى تتورم قدماه، فلما سألته السيدة عائشة رضي الله عنها: لم تصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: "أفلا أكون عبدا شكورا" (متفق عليه)، وقد كانت مثل هذه الأحوال النبوية نبراسا للصوفية في مجاهداتهم الروحية.[3]

يقول عليه الصلاة والسلام: "أزهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس" (رواه ابن ماجة وصححه الألباني) ويقول أيضا "إذا رأيتم من يزهد في الناس فادنوا منه، فإنه يلقى الحكمة" (رواه أبو يعلي) (الترغيب والتهذيب) و (الجامع الصغير).[4]

أما عن أخلاقه (ص) فقد بلغ فيها الكمال قال الله تعالى عنه: "وإنك لعلى خلق عظيم" (القلم/04)وكانت نفسه منجذبة إلى عالم الربوبية، وكانت بطبيعتها شديدة النفور عن اللذات الباطلة والسعادات الزائفة ولم يكن الرسول في خلقه متكلفا، وإنما كان خلقه سجية وطبعا، وكان من خلقه

[1] – إبراهيم محمد تركي، مرجع سابق، ص 93.

[2] – أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، مرجع سابق، ص 44.

[3] –إبراهيم محمد تركي، نفسه، ص 93.

[4] –نفسه ، ص 92.

الرحمة والشفقة لجميع الخلق، وعرف النبي بحسن العشرة للناس، كان يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويلاطف الأطفال الصغار.[1]

كان النبي متواضعا معروفا بحيائه، أما عطاؤه وجوده فقد كان فيهما المثل الأعلى، ولا يمكننا في الواقع أن نتقصى هنا جميع أخلاقه، وليس من شك أن النبي كان المثل الأعلى للمسلمين جميعا بما فيهم الصوفية، وقد إنطوت بعض أدعية الرسول صلى الله عليه و سلم على الكثير من المعاني الصوفية، وذلك نحو قوله: "اللهم لك أسلمت، وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت" وقوله "اللهم اجعلني شكورا، واجعلني صبورا، واجعلني في عيني صغيرا وفي أعين الناس كبيرا"[2].

فهذه الشواهد كلها تدل على أن تصوف الصوفية وما ينطوي عليه من النزعات الزهدية، والمعاني الأخلاقية كالمقامات والأحوال، وما يترتب عليها من ثمرات روحية، وقد وجد مادته الأولى في حياة النبي وأخلاقه وأقواله.

3/حياة الصحابة:

كانت حياة الصحابة وأقوالهم أيضا منبعا استقى منه الصوفية،[3] فالملاحظ أن حياة الكثير من الصحابة كان فيها الكثير من مظاهر الزهد والتقشف،[4] والورع والإقبال على الله، لقد كان الصحابة في الحقيقة مقتدين بالنبي صلى الله عليه و سلم في أقواله وأحواله ، وقد امتدحهم القرآن في قوله تعالى: "وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ" (التوبة/100)،[5].ومن هنا نظر الصوفية إلى الصحابة على أنهم قدوة في جميع معانيهم الظاهرة

[1] – أبو الوفا الغنيمي، مرجع سابق، ص 45، 46.

[2] – نفسه، ص 47، 48.

[3] – نفسه، ص 49،50.

[4] –إبراهيم محمد التركي، مرجع سابق، ص 94.

[5] –أبو الوفا، نفسه ص 50.

والباطنة على حد تعبير الطوسي[1] في كتابه "اللمع"، فكان أبو بكر الصديق زاهدا، وتحدث عن التقوى واليقين والتواضع فقال: "وجدنا الكرم في التقوى، والغناء في اليقين، والشرف في التواضع"[2].

كان عمر بن الخطاب يخطب في الناس، وهو خليفة، وعليه إزار فيه اثنتي عشرة رقعة، وكان يغسل ثوبه بيده.[3] وقد كان عمر صافي النفس طاهر القلب متقشفا، وقد ذكر الطوسي عن إقتداء الصوفية بعمر،[4] ولا يمكن أن نغفل هنا عن الإشارة إلى ما كان لعمر من مواهب روحية فائقة ربما كانت موضع اهتمام الصوفية، وخاصة ما يعرف منها بالتخاطر.[5]

الذي يبدو واضحا في قوله وهو على المنبر في المدينة مخاطبا أحد قوات جيشه إلى فارس يا سارية، الجبل الجبل، ويروى أن سارية قد سمع هذا النداء والتزام بالجبل.[6]

قد عاش الصحابة رضوان الله عليهم عيشة الزاهدين القانعين المتبتلين[7]، الزهاد يعرضون عن العلم شغلا بالزهد فقد استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، وبيان ذلك أن الزاهد لا يتعدى نفعه عتبة بابه، والعالم نفعه متعد، والزهد عندهم هو ترك المباحات فمنهم من لا يزيد على خبز الشعير ومنهم من لا يذوق الفاكهة، ومنهم من يقلل المطعم حتى يبس بدنه ويعذب نفسه بلبس الصوف.[8] فقد كان الزهد موجودا في الصدر الأول، وكان شائعا بين أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم.[9]

---

[1]– الطوسي: هو أبو نصر السراج الطوسي أقدم مؤرخ للتصوف توفي سنة378هـ/ 988م أنظر فلاح بن اسماعيل بن احمد ،مرجع سابق، ص 129.

[2] –أبو الوفا، مرجع سابق، ص 50، 51.

[3] – إبراهيم محمد التركي، مرجع سابق، ص 94.

[4] – أبو الوفا، نفسه، ص 51.

[5] –التخاطر: هو الترجمة العربية لكلمة telepathy وهو ظاهرة نفسية تقوم على الاتصال المباشربين النفوس وإن كانت بعيدة بعضها عن بعض ، وذلك بوسائل غير الوسائل الحسية المعلومة، وقد كان العديد من صوفية الإسلام يمارسون هذا النشاط النفسي،أنظر ابراهيم محمد تركي ،نفسه ،ص94.

[6] –إبراهيم محمد تركي، نفسه، ص 94.

[7] – عبد الحميد هيمة، مرجع سابق، ص 74.

[8] – ابن الجوزي، مصدر سابق، ص 165، 166.

[9] – حسن الشافعي، مرجع سابق، ص 44.

وحقيقة إن لفظ الزهد لم يرد إلا مرة واحدة في القرآن، في قصة يوسف، إذ ورد قوله تعالى: "وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ" (يوسف/20)[1]. فزهد الصحابة في حياتهم وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه قدوة لأهل التصوف في أمور كثيرة، ويروى عن زهده مع كثرة ماله أن الانفاق كان أحب إليه من الإمساك.

وروي عنه كثرة تعبده وكثرة تلاوته للقرآن ، وقد قتل عثمان وهو ويقرأ القرآن وكان من أخلاقه الحياء والجود والزهد والخوف والورع والتواضع والشفقة وحسن الصحبة للناس وغير ذلك، وقد روي عن عثمان أقوال لها دلالة صوفية.[2]

منها قوله: " وجدت الخير مجموعا في أربعة، أولها: التحبب إلى اله تعالى، والثاني: الصبر على أحكام الله تعالى، والثالث: الرضا بتقدير الله عز وجل، والرابع: الحياء من نظر الله عز وجل، فكان يتحدث هنا عن مقامات أربعة من مقامات السلوك وهي : المحبة و الصبر والرضا والحياء من الله"[3].

أما الإمام علي ابن أبي طالب، الذي كان موضع اهتمام الصوفية وإجلالهم، فإنه قد اشتهر بالزهد، حتى صام ثلاثة أيام متتالية من دون طعام، لأنه طرق عليه الباب في اليوم الأول مسكين وفي اليوم الثاني يتيم وفي اليوم الثالث أسير فكان يعطي لكل واحد منهم ما كان لديه من طعام، فنزلت الآية الكريمة: "وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا" (الإنسان الآيتان 8– 9).[4]

[1] – إبراهيم محمد تركي، مرجع سابق، ص 118.

[2] –أبو الوفا الغنيمي، مرجع سابق، ص 94، 95.

[3] – نفسه، ص 52، 53.

[4] – إبراهيم محمد التركي، نفسه، ص 94، 95.

كان لعلي بن أبي طالب عند الصوفية منزلة خاصة رفيعة، وكان علي مثلا بارزا في الزهد والتقشف والدعوة إليهما. لانجد بذور الحياة الروحية الإسلامية مغروسة في قلب النبي وصحابته من الخلفاء الأربع فحسب، وإنما نجدها أيضا في قلوب صحابته من غير الخلفاء.[1]

يمكن القول أن الصحابة والتابعين وما كانوا عليه من سيرة محمودة في العبادات والمعاملات إمتدادا للصوفية وخاصة في المرحلة الأولى للتصوف، وهي مرحلة الزهد، إذ يعتبر الزهد في الإسلام منهج في الحياة، قوامه التقلل من ملذات الحياة والانصراف إلى الجاد من أمورها، فيرتفع بذلك عن شهواته، وليس من شرط الزهد في الإسلام أن يكون مقترنا بالفقر، وأكبر مثال على ذلك هو عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ب/المصادر الأجنبية:

باعتبار أن لفظ التصوف لم يكن معروفا في العصر الأول للإسلام، الأمر الذي أدى بالبعض القول أن التصوف مصدره يعود إلى أصول أجنبية غريبة عن الإسلام.

1/المصدر الهندي:

يعد أبو الريحان البيروني (440هـ/1048م) أول من أشار إلى مظاهر التشابه بين مذاهب صوفية الهند القدامى وصوفية الإسلام، له كتاب "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة" وفي هذا الكتاب يعرض مواطن الشبه، أو يوازن بين ما يعرضه من عقائد الهنود وحكمتهم وبين أنظار اليونان وفلسفتهم من ناحية، وبين أفكار الصوفية المسلمين وأقوالهم وطرقهم،[2] قد استند إليه العديد من المستشرقين في قولهم بالأصول الهندية للتصوف الإسلامي من بينهم فون كريمر،

[1] –أبو الوفا الغنيمي، مرجع سابق، ص 53، 54.

[2] – حسن الشافعي ، مرجع سابق، ص 15.

براون. وقد استند هؤلاء في هذه الفكرة إلى أن: الثقافة الهندية قد شقت طريقها عبر بلاد فارس إلى شرق آسيا قبل قيام الإسلام، أن المسلمين كانوا معجبين بحكمة الهند.[1]

2/المصدر الفارسي:

إستند القائلون بهذه النظرية إلى أن كثيرا من الصوفية كانوا من الفرس. وكان عهد أسر بعضهم بالإسلام قريبا،[2] وقد أخذوا يستدلون لذلك بما كان بين العرب والفرس من صلات إجتماعية وثقافية ودينية، بالإضافة إلى عدد من مشايخ الصوفية الذين كان لهم دور بارز في تطور التصوف الإسلامي من أمثال: معروف الكرفي (200هـ)، أبي يزيد البسطامي (261هـ) ...الخ. وقد نشأوا متأثرين بما ورثوه عن قومهم من علوم وعقائد.[3]

هناك من الباحثين من يشير إلى أن الأثر الفارسي في التصوف الإسلامي يمكن أن يتمثل في فكرة "الحقيقة المحمدية" أو "النور المحمدي".[4]

3/المصدر المسيحي:

هذه النظرية ترجع التصوف إلى أصل نصراني مسيحي، ويستدل أصحابها على ذلك بوجوه الشبه الكثيرة بين حياة الزهاد والعباد والنساك من صوفية المسلمين وحياة الرهبان في ظواهر العبادة واللباس، كما أنهم يرون أن فكرة الحب الإلهي التي ظهرت عند صوفية المسلمين، أثرت عن المسيح عليه السلام وحواريه، ويعتمدون في ذلك على طائفة من القصص والأقوال التي وردت في الصوفية.[5]

---

[1] – إبراهيم محمد تركي، مرجع سابق، ص ص 63– 67.

[2] – نفسه، ص 71.

[3] –حسن الشافعي، مرجع سابق، ص 17.

[4] – إبراهيم محمد التركي، نفسه، ص 72.

[5] –أحمد توفيق عياد، مرجع سابق، ص 17.

وقد إستند المستشرقون في رد التصرف إلى المصدر المسيحي إلى شخصيته الحلاج (309هـ).[1]لإشارة إلى عبارات مسيحية مثل" الناسوت"، "اللاهوت"[2].

4/المصدر اليوناني:

أشار العديد من المستشرقين إلى أهمية الأثر اليوناني في نشأة التصوف الإسلامي، فقال بهذه النظرية كل من براون في كتابه "تاريخ الأدب في فارس" ونيكلسون في كتابه "صوفية الإسلام"[3]

يعد أفلاطون مؤسس هذا المذهب وقد تأثرت الفرق الفلسفية بتعاليمه،[4] وقد استند المستشرقين إلى وجود مراكز للثقافة اليونانية في البلاد التي فتحها المسلمون. فشخصية أفلاطون (270م) لها مكانة مهمة في تاريخ الفلسفة اليونانية، وأثرت في العديد من الصوفية لا سيما المتفلسفين منهم.[5] وقد بين إسحاق النينوي كيف تنتج الأفلاطونية الحديثة، ممزوجة بالدين في الشرق الشرق آراء ورياضات تشبه آراء الصوفية ورياضهم.[6]

بالإضافة إلى هذه المصادر هناك مصادر أخرى مثل المصدر المصري القديم، ويمكن القول أن التصوف الإسلامي وجد مبادئه في الكتاب والسنة وحياة الصحابة، فكانت منابعه الأولى إسلامية بحتة مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

فقد نشأ التصوف في الجماعة الإسلامية وتطور وتأثر بمذاهب أخرى، ومن خلال ما سبق ذكره يمكن القول أنه لا يمكن أن يكون المصدر الهندي ولا الفارسي ولا المسيحي ولا اليوناني أصلا أو مصدرا للتصوف الإسلامي.

---

[1] –الحلاج: هو أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج نشأ بالعراق وهو من أقطاب الصوفية، أنظر: السلمي ،مصدر سابق ، ص 102.

[2] – إبراهيم محمد التركي، مرجع سابق، ص 75.

[3] – نفسه، ص 77.

[4] –أحمد توفيق عياد، مرجع سابق، ص 16.

[5] – إبراهيم محمد التركي، نفسه، ص77.

[6] – عبد الوهاب عزام، **التصوف وفريد الدين العطار**،د ط، دار هنداوي،د م،د ت، ص 16.

المبحث الثاني:

عوامل ظهور التصوف

المطلب الأول: العوامل الدينية

المطلب الثاني: العوامل السياسية

المطلب الثالث: العوامل الاجتماعية والاقتصادية

2/ عوامل ظهور التصوف:

إن أي ظاهرة إجتماعية لا يتسنى فهمها إلا في ظل الظروف السياسية والدينية والإقتصادية والإجتماعية المختلفة التي أهلت لنشوء هذه الظاهرة، وتتجمع آراء الدارسين حول عدد من أسباب والدوافع يرجعون إليها ظهور التصوف في الإسلام أو ما يعرف بالزهد في بدايته الأولى نشأ نتيجة عوامل داخلية وهو بمثابة رد فعل طبيعي لعوامل متعددة أبرزها:

1/العوامل الدينية:

كان الإقبال على الدين والزهد في الدنيا غالبا على المسلمين في صدر الإسلام، فلم يكونوا في حاجة إلى وصف يمتاز به أهل التقى والعكوف عن الطاعات والانقطاع إلى الله، ولم يتسم أفاظلهم في الجيل الأول بتسمية سوى صحبة رسول الله، إذ لا أفضلية فوقها، فقيل لهم الصحابة ولما أدركهم أهل الجيل الثاني سمي من صحب الصحابة بالتابعين[1]، حث القرآن على الورع والتقوى وهجر الدنيا وزخرفها، ويحقر من شأن هذه الدنيا، ويعظم من شأن الآخرة، ويدعوا إلى العبادة والتبتل وقيام الليل والتهجد والصوم، ونحو ذلك مما هو صميم الزهد، والقرآن يصور الجنة والنار بصورة دفعت كثيرا من المسلمين إلى التفاني في العبادة طلبا للنجاة، وألقت الرعب في قلوب آخرين خوفا من الوقوع في النار فقضوا ليالي في التوبة والاستغفار.[2]

ساد في القرن الثاني وما بعده الإقبال على الدنيا والانغماس في ملذاتها مما دعا إلى نشوء اتجاه مضاد لهذا الاتجاه تمثل في العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الناس من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، وعرف أصحاب هذا الاتجاه بالصوفية والمتصوفة.[3]

---

[1] – ماسينون ومصطفى عبد الرزاق، مرجع سابق، ص 51.

[2] –أبو الوفا التفتازاني، مرجع سابق، ص 61، 62.

[3] –منال عبد المنعم جاد الله، مرجع سابق، ص 121.

رأى المستشرق نيكلسون من خلال كتاب منال عبد المنعم جاد الله أن التصوف الإسلامي نشأ عن نزعة الزهد التي سادت القرن الأول هجري في المجتمع الإسلامي نتيجة عاملين هما المبالغة في الشعور بالخطيئة والخوف من العقاب الشديد في الآخرة.[1]

إن الفتن التي ثارت بين المسلمين، فأسالت بينهم الدماء أفزعت كثيرا من الأتقياء، وحببت إليهم الإبتعاد من مدارج الفتن جهد الطاقة، فبالغوا في التورع، والإنقباض عن الناس،[2] كان الرسول صلى الله عليه و سلم يحذر من الفتن على أمته، وكثيرا ما كان يحذرهم منها لأن بأس الأمة متى انتقل من أعدائها إلى أنفسها ساءت حالها وفسد نظامها وصارت إلى الفوضى أقرب منها إلى الإصلاح[3]، فالثورة على عثمان وقتله في حريم داره والمصحف في حجره كان له بالغ الأثر على المسلمين،[4]فقد كان عثمان رضي الله عنه معروفا بخلق الحياء واللين، فقد كان يخاف من الفتن على المسلمين ويود أن لا يكون فتح بابها على يده، كان متسامحا لا يوجه لأحد كلمة سوء وهذا لا يحسم في سياسة الرعية، بل لا بد لمقام الخلافة من هيبة في القلوب تقف بالناس عند الحد اللائق بهم، فكان لا يعاقب المفسدين الذين ثبت أنهم يدبرون حركة الفتنة فاختار اللين على الشدة معهم لئلا يكون فاتحا باب الفتنة فما زادهم ذلك إلا فسادا،[5] ومما زاد غضب الثوار على عثمان عزله الكثير من الصحابة وتولية جماعة من بني أمية من أقربائه ومما أجج نار الفتنة دعوة عبد الله بن سبأ للثورة الذي أخذ يتنقل في الأمصار الإسلامية محاولا إثارة الناس ضد عثمان.[6]

---

[1] –منال عبد المنعم جاد الله، مرجع سابق، ص 121.

[2] –عبد الوهاب عزام، مصدر سابق، ص 20.

[3] –محمد الخضري بك، **إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء**، تح عبد المنعم العاني،ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2008م، ص 130.

[4] –عبد الوهاب عزام، نفسه، ص 20.

[5] –حسن أيوب ، **الخلفاء الراشدون**،ط1، دار السلام، القاهرة، مصر، 1423هـ–2003م، ص 174، 175.

[6] – محمد حسين هيكل، **عثمان بن عفان بين الخلافة والملك**،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1، 2007م، ص 113.

فقام الثوار بحصار حول دار عثمان وأساءوا معاملته فمنعوه عن الخروج، وقد استمر الحصار أربعين يوما وقاموا بمهاجمة داره وأشعلوا النار في بابه وقاموا بقتله[1] بمقتل عثمان انقسم الإسلام إلى حزبين: حزب علي، وحزب معاوية والحزب يطلق عليه في العربية أيضا اسم "الشيعة" فكانت شيعة علي في مقابل شيعة معاوية[2]، لما وقع قتل عثمان، كانت أزواج النبي صلى الله عليه و سلم أمهات المؤمنين قد خرجن إلى الحج في هذا العام فرارا من الفتنة، فلما بلغ الناس أن عثمان قد قتل أقمن مع الناس بمكة، وجعلوا ينتظرون ما يصنع الناس، فقامت عائشة رضي الله عنها في الناس تخطب، وتحثهم على القيام بطلب دم عثمان فاستجاب الناس لها، فسار الناس صحبة عائشة إلى البصرة لمطالبة علي بتسليم قتلة عثمان، وكانت عائشة تحمل في هودج على جمل اسمه عسكر فكانت موقعة الجمل سنة 36هـ التي سقط فيها الكثير من القتلى وقيل بأن هودج عائشة رشق بالنبال حتى بقي كالقنفد[3]، ولما فرغ علي من وقعة الجمل ودخل البصرة فشيع أم المؤمنين عائشة لما أرادت الرجوع إلى مكة، سار من البصرة إلى الكوفة فأراد علي أن يبعث إلى معاوية يدعوه إلى بيعته وقام معاوية باستشارة رؤسائه فأبووا أن يبايعوا حتى يقتل قتلة عثمان بن عفان أو أن يسلم إليهم قتلة عثمان، وإن لم يفعل قاتلوه ولم يبايعوه[4]، فكانت موقعة الصفين سنة 37هـ بين الطرفين وكانت لهذه المعركة نتائج بالغة الخطورة وكانت خطوة جديدة في الطريق الذي بدأ بقتل عثمان بن عفان.[5]

فحينما لاح خطر الهزيمة رفع أهل الشام المصاحف على ألسنة سيوفهم فلجأ الفريقان إلى التحكيم، ومن نتائج التحكيم ظهور فرقة الخوارج فبعد اتفاق علي ومعاوية على التحكيم تفرق الناس إلى بلادهم من صفين وخرج معاوية إلى دمشق بأصحابه ورجع علي إلى الكوفة ولما كان قد قارب

---

[1] – محمد حسين هيكل، مرجع سابق، ص 118.

[2] – يوليوس قلهوزن، **أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام الخوارج والشيعة**، تر،عبد الرحمان بدوي،د ط، مكتبة النهضة ،القاهرة،د ت ،ص146.

[3] – محمد بن أحمد كنعان، **تاريخ الخلافة الراشدة**،ط1، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، 1417هـ، 1997م، ص 351، 352.

[4] – حسن أيوب، مصدر سابق، ص ص 221، 223.

[5] – جميل عبد الله المصري، **أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول هجري**،د ط، مكتبة الدار ، المدينة المنورة،د ت ، ص 281.

دخول الكوفة اعتزل من جيشه قريب من إثني عشر ألفا وهم الخوارج وكل هذه العوامل أدت إلى تأجيج نار الفتنة وظهور الأحزاب.[1]

كان لمقتل عثمان وما تبعه من وقعات الجمل والصفين إلى المسلم التقي أن يفر بدينه وأوهمه أن المشاركة في أمور هذه الدنيا شركة في هذه الفتن، وارتكاس في الجاهلية التي أنجاهم الله منها، وتعرض للفتن التي روى أخبارها بعض المحدثين عن الرسول (ص) فاجتهد بعض المسلمين أن يعتصموا بالزهد واعتزال الناس فرأى البعض أن يفر بنفسه بعيدا عن الفتنة، وقد لزم جماعة من أهل بدر بيوتهم بعد مقتل عثمان فلم يخرجوا منها إلا لقبورهم، فأشفق الكثير من الناس على دينهم من الفتن فغلوا في العبادة وحرصوا على اعتزال الناس، والفرار بدينهم من متقلب الحادثات، ومفتتن الجماعات.[2]

وبذلك استيقظت الفتن في عهد عثمان رضي الله عنه فقد عرف عنه أنه لم يكن رجلا عنيفا ممن يأخذون الأمور بالشدة، و تعالج بالحزم، بل كان رجلا مسالما يميل إلى أخذ الأمور ومعالجتها بالحسنى.[3]

كثير من الفتن لا تعالج إلا بالسيف ولا تأخذ إلا بالشدة، فكان رضي الله عنه أول فداء، وأول من ألقي في تلك النيران التي تأججت فكان هناك من ينقم على الإسلام ويكيد له بين ربوع المسلمين، فعملوا على تفريق أهله وتمزيق وحدتهم فأخذوا ينشرون روح التمرد بين الشعوب الإسلامية، فتأججت نار الفتنة التي ابتدأت بقتل الخليفة الشهيد، وانتهت بتقسيم الأمة الإسلامية إلى فرق وشيع وأحزاب تتجادل أحيانا باللسان، وتتناحر أحيانا بالسيف، وكانت هذه الفرق في بادئ الأمر فرق سياسية[4]، ثم أصبحت ذات صلة بالدين لذلك فإن الفرق السياسية التي نشأت في ذلك العصر

[1] –محمد بن أحمد كنعان، مرجع سابق، ص 415.

[2] – عبد الوهاب عزام، مصدر سابق، ص 20، 21.

[3] – محمد أبو زهرة، **تاريخ الجدل**، دار الفكر العربي،د ط، الإسكندرية، مصر،د ت، ص ص 89– 91.

[4] – نفسه ،ص ص 92– 94.

كانت كل مبادئها تحوم حول الدين فتقرب منه أحيانا وتبتعد عنه أحيانا أخرى وأخذت تبحث في أصول الإيمان والإعتقاد.[1]

بالإضافة إلى العوامل الدينية السابقة نجد أن التصوف جاء كرد فعل لمذهب المتكلمين، أما عن نظرة الصوفية إلى علم الكلام[2] مختلف.

إنه اختلاف جوهري في المنهج والمذهب ويمكن أن يعد التصوف رد فعل لعلم الكلام، رفض الصوفية علم الكلام مذهبا كما أنكروه منهجا[3]، نقد الصوفية العقل عند المتكلمين واعتبروه أنه عند هؤلاء المتكلمين عبارة عن مجموعة من المناهج الجدلية الغير ممحصة[4]، موضوع الكلام إقامة الدليل العقلي على صحة العقائد والدفاع عنها ضد المبتدعة، أما التصوف لم يقم في حقيقة الأمر لدفاع عقلي عن العقيدة، فلم يكن الصوفية أهل نظر وفكر وإنما أهل سلوك وطريق، ومن ثم لا تسمح طبيعة التصوف بجدل المتكلمين، فقد جاء التصوف ليقدم للناس شيئا أجدى لهم من الجدل مما يمكن أن يكون فيه صلاح لهم في دينهم وآخرتهم[5]، وبذلك جاء التصوف كثورة ضد علم الكلام، ذلك أن أتقياء المسلمين لم يجدوا في فهم المتكلمين للإسلام ما يشبع عاطفتهم الدينية، فلجأوا إلى التصوف لإشباع هذه العاطفة.[6]

---

[1] – محمد أبو الزهرة،مرجع سابق،ص 118.

[2] – علم الكلام: هم أهل الرأي والنظر ، أنظر أبي حامد الغزالي، **المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال**،جميل صليباوكامل عياد،ط7،دار الأندلس،بيروت– لبنان،د ت، ص 69،و يقول فيه ابن خلدون :هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الدينية بالأدلة العقلية و الرد على المبتدعة المنحرفين ،أنظر،ابن خلدون ،مصدر سابق ،ص580.

[3] – أحمد محمود صبحي، **التصوف ايجابياته وسلبياته**،د ط، دار المعارف، القاهرة،د ت، ص 54، 55.

[4] – أحمد توفيق عياد، مرجع سابق، ص 197.

[5] – محمود صبحي، نفسه، ص 57.

[6] –أبو الوفا التفتازاني، مرجع سابق، ص 62.

2/العوامل السياسية:

لقد نشأ الصوفية في زمن لم يكن فيه لغير الحاكم أمر يطاع، وكانت الدسائس والوشايات الأساس في قصور الخلفاء والأمراء والوزراء[1]، ولم تنته الفتن بمقتل الخليفة الرابع علي بن أبي طالب بل كان قتله إبتداء فتنة أشد خطرا إذ ابتدأت الخلافة تصير ملكا عضوضا، وقد كانت من قبل تقوم على الشورى واختيار أمثل المسلمين وأقواهم في الدين، وبوصول الأمويين إلى الحكم انتقل من نظام الشورى إلى الحكم الوراثي،[2] وكان للخلافات السياسية بين المسلمين منذ أواخر عصر الخليفة عثمان بن عفان أثر في مجال الحياة الدينية والسياسية للمسلمين، واستمرت الخلافات السياسية في عصر علي وانقسم المسلمون إلى أمويين وشيعة وخوارج واستمر الصراع بين الأمويين وخصومهم زمنا طويلا، ولم يكن هذا الخلاف السياسي ليبتعد عن الدين، لأن كل فريق من المتنازعين كان يلجأ إلى نصوص الدين دائما ليؤيد موقفه ويبرره، عندئذ صار كل حزب سياسي فرقة دينية لها معتقداتها، واستشعر البعض خطورة هذا الجو المشحون بالخلافات والإضطرابات السياسية فوقفوا من الفرق المتنازعة موقف حياد ابتعادا عن الفتنة وحبا في حياة العزلة واتجهوا بذلك إلى نوع من الزهد، وعند حدوث الفتنة بين الحسن بن علي والأمويين، وتنازل الحسن لمعاوية آثر بعض أنصار الحسن الإعتكاف في منازلهم والإشتغال بالعلم والعبادة.[3]

إن اضطراب الأحوال السياسية في هذا العصر دفع ببعض المسلمين منذ وقت مبكر إلى إيثار حياة العزلة والعبادة تجنبا للإنغماس في الفتن السياسية فقد شهد عصر الأمويين مظالم كثيرة، واضطهادات شديدة فإنه من الطبيعي أن تقوى النزعة إلى الزهد والعزلة عند أفراد كثيرين، ومن أمثلة ظلم بني أمية مقتل الحسين بن علي في كربلاء سنة 61هـ، هذا الأخير الذي كان يكره الفتن ويحب

[1] – زكي مبارك، مرجع سابق، ص 111.

[2] – محمد أبو زهرة، مرجع سابق، ص 113.

[3] – أبو الوفا التفتازاني، مرجع سابق، ص 68،69.

للمسلمين الألفة، فلم يرى خيرا لنفسه ولأمته من أن يتنازل لمعاوية وكتب إلى معاوية بيعته سنة 41هـ[1].

كان لموقعة كربلاء صدى بعيد في المجتمع الإسلامي آنذاك، وقدم جماعة من أهل الكوفة وسموا أنفسهم بالتوابين بعد استشهاد الحسين وذلك للخيانة التي صدرت منهم في حقه أو مناصرتهم لأعدائه فزاولوا العبادة وانزوت جماعة عن المجتمع المملوء بالفتن طلبا لنجاة أنفسهم، وقاد حركة التوابين هذه المختار بن عبيد الثقفي توفي 38هـ/658م، وتمكن من هزيمة الأمويين في بعض المعارك، ورأى الكثير من المسلمين الذين لم يكونوا قادرين على نصرة الحق ومواجهة الحكام المستبدين الإنسحاب من حياة المجتمع والتفرغ لحياة العبادة والزهد،[2] وبانقضاء زمن الخلافة الراشدة جاء الملك العضوض بمظالمه وفتنه،[3] فكان العصر الأموي عصر إراقة الدماء وانتهكت فيه حرمة مكة والمدينة وعامل فيه عمال بني أمية كحجاج الثقفي توفي (95هـ-714م) الناس معاملة قاسية للغاية.[4]

ذهبت أرواح كثير من الأبرياء وعاش كثير من الناس في رعب، فدعاهم هذا إلى الزهد في الدنيا لأنه لم يعد للدنيا آنذاك في نظرهم قيمة.[5]

بالإضافة إلى ما سبق ذكره هناك ظروف سياسية أخرى كانت وراء نشأة التصوف هي اتساع رقعة الدولة الإسلامية ودخول كثير من العادات والتقاليد الغربية عن الإسلام، وأصبحت الخلافة وراثية محصورة في أسرة واحدة، فاضطراب الأحوال السياسية في ذلك العصر كان من شأنه إنغماس بعض المسلمين في حياة العزلة والعبادة إبتعادا عن الفتنة السياسية.[6]

[1] – حسن أيوب، مصدر سابق، ص 238.

[2] – أبو الوفا التقتازاني، مرجع سابق، ص 70.

[3] –عبد الوهاب عزام، مصدر سابق، ص 20.

[4] – أبو الوفا التقتازاني، نفسه، ص 70.

[5] – نفسه، ص 70.

[6] – منال عبد المنعم جاد الله، مرجع سابق، ص 121، 122.

3/العوامل الاجتماعية والاقتصادية:

كان للعوامل الإجتماعية آثار على نشأة التصوف، لطالما كان النبي صلى الله عليه و سلم الإمام الأعظم والمثل الأعلى في تمثيل الحق والدفاع عنه ومجابهة الباطل[1]، هناك العديد من الأحاديث فيها أمر الله ورسوله بحقوق المؤمنين بعضهم على بعض[2]، وعلى المسلم أن يجتهد في كف جوارحه عن المعاصي والآثام[3] فكان النبي صلى الله عليه و سلم يتحلى بالتقوى ومن تبعه من الصحابة فالتقوى أول منزلة العابدين وبها تزكوا أعمالهم[4] فعاش الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة حياة بسيطة قوامها الزهد والورع والمساواة بين عامة الناس سواء الغني أو الفقير، لكن فيما بعد تخلى المسلمون تدريجيا بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية عن كثير من أمور الدين، وتكاسلوا عن أداء الفرائض والعبادات مع الإقبال على الملذات والترف والنعيم، وشيوع مجالس الخمر والغناء وكثرة أماكن اللهو، مما كان له أكبر الأثر على وجود تفاوت كبير بين طبقات الأمة بين الغني والفقير وبين الحكام والرعية نتج عنه شعور أفراد الشعب بفارق كبير فيما بينهم وبين حكامهم، وقد أدى ذلك إلى انبعاث دعوة تدعوا إلى محبة الله بكل ما تحمله من معنى وتذكر بعذاب القبر والآخرة، فظهرت طائفة زاهدة متبتلة متفقهة كرد فعل للترف والنعيم والبذخ الذي ساد في ذلك الوقت.[5]

يضاف إلى ما تقدم أن حياة المسلمين الإجتماعية في العصر الأموي طرأت عليها الكثير من التغيرات عما كانت عليه في عهد النبي صلى الله عليه و سلم والخلفاء الراشدين، فقد فتح المسلمون بلدانا كثيرة وغنموا غنائم كبيرة فبدأ الثراء يظهر في المجتمع الإسلامي مقترنا بحياة الترف وما سيتبعه

---

[1] – عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، **السيرة النبوية3**،ط1، دار الدعوة، الإسكندرية، 1418هـ– 1997م، ص 5.

[2] – أحمد بن تيمية، **فقه التصوف**، ط1، دار الفكر العربي، بيروت،1993م ، ص 62.

[3] – عبد الله الشافعي، **رسالة آداب سلوك المريد**،ط1، دار الحاوي،د م ن، 1414هـ/1994م، ص 17.

[4] – عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي، **الرعاية لحقوق الله**، تح عبد القادر أحمد عطا،ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،د ت ، ص 41.

[5] – منال عبد المنعم جاد الله، مرجع سابق، ص 121، 122.

من إنحراف خلقي، وهنا وجد المسلمون من الأتقياء أن من واجبهم دعوة الناس إلى ما كان عليه السلف من تقلل وزهد وورع، وعدم الانغماس في الشهوات.[1]

من أمثلة الدعاة إلى ذلك الصحابي أبو ذر الغفاري[2]الذي انتقد حياة الأمويين المترفة، وأساليبهم في الحكم نقدا شديدا، ودعا إلى الأخذ بشريعة الإسلام العادلة[3]، والإغراق في الملاذ الدنيوية استهجنته فئة من الذين نشدوا المثل العليا فأظهرت الميل إلى الزهد استهجانا للنزعة الدنيوية واحتجاجا على السلطة، فجاء التصوف كرد فعل لكثير من العوامل والظروف التي جعلت بعض المسلمين يحيدون عن الاعتدال الذي كان قائما في الصدر الأول من الإسلام ويغالون في النزوع إلى الدنيا والإنكباب عليها فقابلهم البعض بالإعراض عنها.[4]

كان الرسول صلى الله عليه و سلم أزهد خلق الله في الدنيا وكان أصحابه ومن تبعهم من التابعين على سيرته وطريقته يعدون الدنيا فانية زائلة، ثم خلف من بعدهم خلف ذهبوا بعيدا في نعيم الدنيا وفتحت عليهم أبواب الترف والرخاء فحصل رد فعل في نفوس الكثير من الناس، فهربوا عن الحياة ومناضلتها وصبغوا هذا الفرار صبغة دينية[5]، وجد المسلمون أنفسهم أمام حياة مغايرة لحياتهم الأولى فكان لا بد أن يثور الوجدان الداخلي لدى بعض الأتقياء على ذلك[6]. وأثار في نفوس بعض المسلمين شيئا من الإنقباض ثم في النهاية العزلة، وعدم المشاركة في هذه الحياة الجديدة خوفا من الله سبحانه وتعالى ومن عقابه.[7]

---

[1]– أبو الوفا التفتازاني، مرجع سابق، ص 70– 71.

[2] – أبو ذر الغفاري: هو من الشخصيات التي عارضت سياسة عثمان وأحد كبار أئمة الحديث، الذي دعا إلى إصلاح أحوال المسلمين وتخفيف الفروق بين الأغنياء والفقراء، أنظر محمد حسين هيكل، مرجع سابق، ص113.

[3] – أبو الوفا التفتازاني، نفسه، ص 70– 71.

[4] – محمد بركات البيلي، مرجع سابق، ص ص14، 16.

[5]– إحسان إلاهي ظهير، **التصوف المنشأ والمصادر**،ط1،ترجمان السنة،د م ن،1406هـ/1986م، ص 44.

[6] – محمود صبحي، مرجع سابق ، ص 20.

[7] – عبد الحكيم عبد الغني قاسم، **المذاهب الصوفية ومدارسها**،ط1، مكتبة مديولي القاهرة،1989م، ص 54.

أما بالنسبة للعوامل الاقتصادية فعندما يرى المعدم المال في يد غيره يشعر بالحرمان والظلم فقد كانت المدن الإسلامية خاصة في عهد الدولة الأموية[1] غنية بمحاصيلها الزراعية من حبوب وفواكه، كما تشكل مفترق للطرق التجارية ومركز للتجارة وتزخر بالمنتجات الصناعية ومن هذا المنطلق اتضح قمة الثراء الاقتصادي للمدن وحول الناس اهتمامهم بالمال فاختل التوازن الاجتماعي وظهرت أفكار الصوفية[2] وبذلك شعرت مجموعة من الناس بالحرمان ومن ثم لجأوا إلى التصوف محدثين أنفسهم أنهم وإن كانوا قد حرموا من نعيم الدنيا فعليهم بنعيم الآخرة.[3].

وخلاصة ما تقدم نشأ التصوف وترعرع في كنف طائفة من المتعبدين والزاهدين لأن التصوف كان في بدايته مخالفة عامة الناس بترك المباحات من الطعام واللباس والمسكن، ويمكن القول أن انغماس الناس في ملذات الدنيا وترفها بالإضافة إلى الفتن التي انتشرت في ربوع الدولة الإسلامية منذ مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه وما انجر عنه من أحزاب سياسية وطغيان حكام الدولة الأموية، فكانت هذه الظروف مجتمعة سواء منها الدينية أو السياسية أو الإجتماعية أو الإقتصادية الأرضية التي هيأت لنشأة التصوف وظهوره.

[1] – انظر الملحق رقم :02

[2] – فلاح بن إسماعيل، مرجع سابق، ص 108.

[3] – منال عبد المنعم جاد الله، مرجع سابق، ص 122.

المبحث الثالث:

خصائص التصوف في العصر الأموي

المطلب الأول: الخصائص الدينية والاجتماعية

المطلب الثاني: مدارس الزهد: النشأة والتطور إلى غاية نهاية القرن الثاني هجري

المطلب الثالث: أقطاب الزهد في القرنين الأول والثاني هجري

المطلب الرابع: آثاره الاجتماعية والدينية

3/خصائص التصوف في العصر الأموي وآثاره:

ظهرت بذور التصوف في سماء الفكر الإسلامي في العصر الأموي على هيأة نزعات شديدة من الزهد في متاع وزخرف الدنيا نتيجة ما وقع فيه العالم الإسلامي وقتئذ من حوادث شديدة أثرت تأثيرا كبيرا في جميع جوانب الحياة، ولذلك سنقوم بتتبع خصائص ومميزات التصوف في العصر الأموي بالإضافة إلى ذكر أهم زهاد تلك الفترة وآثاره.

1/الخصائص الدينية والاجتماعية:

قام التصوف في العصر الأموي على أساس الزهد [1] الذي هو الإعراض عن الشيء وعدم الإقبال عليه أو النظر إلى الحياة الدنيا بشيء من الإستخفاف والإحتقار، وعدم جمع الأموال وعدم الإغراق في ملذات الحياة رعبا من الله وخوفا من عقابه، فالزهد علامة وميزة للإسلام عن غيره من الديانات، فالإسلام دعوة روحية إلتف حولها الضعفاء والمحرومين والعبيد تحت قيادة رسول الله صلى الله عليه و سلم [2]وبذلك كان التصوف في العصر الأموي مستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية وحياة الصحابة رضي الله عنهم [3]، تأثر الزهد في تلك الفترة بمنهجين هامين وهما المنهج النظري والتطبيقي في حياة الرسول صلى الله عليه و سلم فالمنهج التطبيقي هو كل ما نطق به الرسول صلى الله عليه و سلم في توضيح المعالم الأصلية للزهد وحث المسلمين على مجاهدة النفس.[4]

بترك ملذات الحياة وغض النظر عما يجري في الدنيا من متعة وتكالب حول الأموال والسعي نحو حياة أفضل أعدت للمؤمنين الصابرين، والمنهج التطبيقي في حياة الرسول صل الله عليه و سلم، فقد كان قدوة حسنة، ولذلك سار الزهاد والمتصوفة في العصر الأموي على النمط الذي تركه لهم

[1] – أبو الوفا التفتازاني، مرجع سابق، ص 59.

[2] – عبد الحكيم عبد الغني قاسم، مرجع سابق، ص ص 48– 51.

[3] – أبو الوفا التفتازاني، نفسه، ص 59.

[4] – عبد الحكيم عبد الغني قاسم، نفسه، ص 51.

الرسول صلى الله عليه و سلم، ولا ننسى كتاب الله عز وجل فإنه يرسم لنا الطريق السامي للوصول إلى الحياة الطيبة في الدنيا لنسعد في الآخرة ويقول عز وجل: "مَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" (القصص/ 60)، لقد تعرض كتاب الله في آيات كثيرة للحياة الدنيا مصورا صور الزهد، ثم وضح الحلال والحرام ووضح حدود الله وبين مواضع الزهد في ذلك ونتائجه على الفرد والأسرة والمجتمع وحث أيضا على الورع والقيام على العبادة والتهجد في الليل[1]، وبذلك نشأ التصوف في العصر الأموي على أساس الورع والتعبد والزهد والتقوى، وغير ذلك من مظاهر الإنصراف عن الدنيا والإقبال على الدين مما كان عاما شائعا بين المسلمين في حياتهم الأولى، هذه الحياة التي كان يحياها النبي صلى الله عليه و سلم منعزلا في غار حراء مجاهدا نفسه منعزلا عن الناس، وكانت عزلة محمد صلى الله عليه و سلم في غار حراء البذرة الأولى التي نبت منها زهد الزهاد، وعبادة العباد، وتصوف الصوفية، فهنالك في ذلك الغار الهادئ البعيد عن ضجيج الحياة المادية وألوان الترف والنعم فيها كان ينعزل الرسول مرة في كل عام كلما أقبل شهر رمضان[2].

هنالك كان يحي محمد صلى الله عليه و سلم حياة روحية خالصة لا تشوبها شائبة من الحياة المادية، ولا يفسدها عليه شيء من متاع الدنيا أو جاهها، فهذه الحياة التي كان يحياها محمد إذا وازنا بينها وبين حياة الزهاد والعباد الذين ظهروا في صدر الإسلام من ناحية، وبينها وبين حياة الصوفية الذين ظهروا بعد ذلك من ناحية أخرى رأينا أن التصوف هو الإسم الجامع لتلك الفئات وتعاليمهم وما يعمدون إليه من مجاهدات يرمون بها إلى تنقية النفس وتصفية القلب [3]كذلك كانت حياة الصحابة ومن تبعهم من التابعين منبعا إستقى منه الصوفية لأن حياتهم وأقوالهم حافلة بالشيء الكثير

[1] – أبو الوفا التفتازاني، مرجع سابق، ص ص 51– 53.

[2] – محمد مصطفى حلمي، **الحياة الروحية في الإسلام**،ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ت، ص ص 9– 17.

[3] – نفسه، ص 18، 19.

من الزهد والورع والتقشف والإقبال على الله [1] فحياة الصحابة كحياة النبي حافلة بالأحوال والأقوال التي تدل على زهدهم وإعراضهم عن الدنيا.[2]

إرتبط التصوف في هذه المرحلة المبكرة إرتباطا وثيقا بغاية من غايات الدين وهي الزهد، فكان الصوفية يتميزون فيها بالزهد والتقشف ومخالفة المألوفات وترك الكثير من المباحات والبعد عن الناس ومخالطتهم تجنبا للإنغماس في الشهوات والملذات ، وآثروا الخلوات ومفارقة الأوطان واشتهروا بكثرة العبادة والصلاة والصيام ومداومة الأذكار وغيرها من الأمور المحمودة التي اجتهدوا فيها وصبروا عليها.[3]

أقبل الناس في العصر الأموي على الدنيا وزينتها لأن الفتوحات الإسلامية كانت قد جلبت الكثير من الأموال لدى المسلمين فانغمس البعض في حب المال وأسرف البعض في التمتع بزينة الحياة الدنيا، وكثرت الفتن وكان ضروريا أن توجد بعض الطوائف تبتعد عن متاع الدنيا الزائل، وكان التصوف في القرنين الأولين نظاما عاما والمتصوفة متشردين هنا وهناك لا تجمعهم رابطة ولا منظمة وليس لهم مكان يزاولون فيه طقوسهم وليس لهم نظريات.[4]

فلم يكن يجمعهم نظام عام أو تربط بينهم طريقة واحدة في التعبد والتزهد بل كان لكل منهم نظام حياته الروحية الخاص به، فطريقته في العبادة التي وإن اختلفت عن طريقة غيره من أشباهه إلا أنها كانت مثلها في أنها وسيلة معينة على بلوغ الغاية التي كان يطمح إليها كل زاهد أوناسك أو عابد، فكانت حياة هؤلاء مطبوعة بطابع الزهد خاضعة لسلطان الحزن والبكاء اللذان يدلان دلالة واضحة على مبلغ شعورهم بالألم الناشئ عن المعصية والخوف مما يترتيب على المعصية من عذاب،

[1] –أبو الوفا التفتازاني، مرجع سابق، ص 50.

[2] – محمد مصطفى حلمي، مرجع سابق، ص 26.

[3] –فلاح بن إسماعيل بن أحمد ، مرجع سابق، ص 99.

[4] –محمد حربي، **ابن تيمية وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره**،ط1، دار عالم الكتب، بيروت، 1407هـ/1987م، ص 181، 182.

وإلى جانب هذا الزهد المصحوب بالحزن والبكاء الناشئ عن الخوف، كان زهد آخر مصحوب بحزن وبكاء أيضا ، ولكنه ليس هذا الحزن والبكاء الذي مصدره الخوف، وإنما هو حزن وبكاء مصدره الضيق بكثرة ما تراكم على النفس من الحجب التي تحول بينها وبين مشاهدة الله، فكانت حياتهم يتقسمها الزهد مع الخوف من عذاب النار والطمع في ثواب الجنة من ناحية والزهد من حب الله لذاته وابتغاء لمطالعة وجهه من ناحية أخرى.[1]

يتضح لنا مما سبق أن التصوف في العصر الأموي تميز بالخصائص التالية:

أولا: أنه يقوم على أساس فكرة مجانبة الدنيا من أجل الظفر بثواب الآخرة واتقاء عذاب النار متأثرا في ذلك بتعاليم القرآن والسنة، وبالظروف السياسية والإجتماعية السائدة في المجتمع الإسلامي آنذاك.

ثانيا: أنه زهد ذو طابع عمل، ولم يعن أصحابه بوضع القواعد النظرية له، ومن وسائله العملية العيش في هدوء وبساطة تامة. والتقليل من المأكل والمشرب والإكثار من العبادات والنوافل والذكر، مع المبالغة في الشعور بالخطيئة والخضوع المطلق لمشيئة الله، والتوكل عليه، وهو بهذا يهدف إلى غاية أخلاقية.

ثالثا: أنه كان يتخذ دافعا له الخوف من الله، وهو خوف يبعث على العمل الديني الجاد، على أنه ظهر له دافع آخر في أواخر القرن الثاني عند رابعة، وهو الحب لله المنزه عن الخوف من عقاب الله والطمع في ثوابه في آن معا، وهو يعبر عن إنكار الذات، و عن التجرد في علاقة الإنسان بالله.

رابعا: أن زهد بعض المتأخرين من الزهاد خصوصا في خراسان، وعند رابعة يمكن، لما تميز به من تعمق في التحليل أن يعتبر مرحلة تمهيدية للتصوف، وأصحابه، وإن كانوا يقتربون من التصوف

[1] -محمد مصطفى حلمي، مرجع سابق، ص ص 84، 87، 88.

لايعدون صوفية بالمعنى الدقيق للكلمة، وإنما يمكن إعتبارهم روادا أوائل لمن سيجيء بعدهم من صوفية القرنين الثالث والرابع.[1]

[1] – أبو الوفا التفتازاني، مرجع سابق، ص 90، 91.

2/مدارس الزهد النشأة والتطور إلى غاية نهاية القرن الثاني هجري:

إنتشرت حركة الزهد الإسلامية إبان القرنين الأول والثاني الهجريين في إتجاهات مختلفة تجسدت في ثلاث مدارس وهي كالآتي:

أ/مدرسة المدينة:

ففي المدينة ظهر زهاد كثيرون منذ وقت مبكر ، تمسكوا بالقرآن والسنة وجعلوا الرسول صل الله عليه وسلم قدوتهم في زهدهم، وظلوا كذلك حتى بعد إنتقال الخلافة من المدينة إلى دمشق، أي على مذهب السلف، وقاوم بعضهم كل أثر كان يأتيهم من قبل بني أمية، سياسيا كان أو غير سياسي، ومن هؤلاء أبو عبيدة بن الجراح المتوفي سنة 18هـ/639م وأبو ذر الغفاري المتوفي سنة 22هـ/643م وسلمان الفارسي المتوفي سنة 32هـ/653م من الصحابة، وسالم بن عبد الله المتوفي سنة 106هـ/724م من التابعين، وقد ترجم الشعراني لبعضهم وأورد أقوالا لهم في الزهد، نتبين منهم أنهم كانوا يتقللون في مأكلهم ومشربهم، وتسيطر عليهم رغبة النجاة في الآخرة، وضرورة العمل الجاد من أجلها.[1]

ويشير أبو عبيدة إلى ضرورة طهارة باطن العبد، والتوبة من السيئات وهو يفتح باب الرجاء في الله، حين يذكر أن حسنة واحدة تعلو فوق جميع السيئات، ومن تابعي المدينة المشهورين بالزهد سعيد بن المسيب المتوفي سنة 91هـ/710م،[2] ووصف بأنه كان سيد التابعين من الطراز الأول، جمع بين الحديث والفقه والزهد والعباد والورع[3].

[1] -أبو الوفا التفتازاني،مرجع سابق ، ص 72.

[2] - نفسه، ص 73.

[3] -أحمد بن محمد شمس الدين بن خلكان، **وفيات الأعيان و انباء أبناء الزمان**، ج1،تح إحسان عباس،د ط ، دار صادر،بيروت،1968م، ص 28.

كان يصف بني أمية بالظلم، ومن هنا يتبين أن مدرسة المدينة كان اتجاهها سلفيا، تتمسك بما كان عليه النبي من زهد وورع ولم تفتنها التغيرات الإجتماعية في العصر الأموي ولا غيرت من مبادئها تحت إرهاب حكام بني أمية، وزهدها بذلك إسلامي خالص يلتزم بتعاليم الإسلام.[1]

ب/مدرسة البصرة:

كان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر الأمصار[2]، يرى ابن تيمية من خلال كتاب محمد حربي أن ما ظهرت الصوفية من البصرة وأول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد (177هـ/793م) وعبد الواحد من أصحاب الحسن البصري، فكانت البصرة معقلا للصوفية وكان فيها الزهد والزهاد أكثر من غيرها من البلاد الإسلامية في ذلك الوقت [3]، ويرى ماسينون من خلال كتاب أبو الوفا التقتازاني أن العرب الذين إستوطنوا البصرة كانوا مفطورين على النقد لا يؤمنون بالواقع، وكان شيوخهم في الزهد الحسن البصري (ت110هـ/728م) ومالك بن دينار (ت 131هـ/749م) ومما ينسب إليه قوله "من وافقني على التقلل فهو معي وإلا فالفراق"

فكانت معاني الزهد في البصرة تدور حول معنى الخوف من عذاب الآخرة، وهو الخوف الذي يتبعه العمل الديني الجاد والانصراف عن ملذات الدنيا بالتقلل في المأكل والمشرب وغير ذلك مما لا يخرج عن حدود زهد النبي وصحابته، [4] ويرجح ابن تيمية أنه كان هناك نوع من التنافس بين زهاد البصرة وزهاد الكوفة، قائلا: "أن الأمور الصوفية التي فيها زيادة في العبادة والأحوال خرجت من البصرة" ويقول أيضا أنه "كان فيهم طوائف يصعقون عند سماع القرآن".[5]

---

[1] – أبو الوفا التقتازاني، مرجع سابق، ص 73، 74.

[2] – محمد بركات البيلي، مرجع سابق، ص 24.

[3] –محمد حربي، مرجع سابق، ص 181.

[4] – أبو الوفا التقتازاني، نفسه، ص ص 74، 76، 77.

[5] – ابن تيمية، **الصوفية والفقراء**،د ط ، دار المدني، القاهرة،د ت ، ص 16.

ج/مدرسة الكوفة:

يرى ماسينون من خلال كتاب أبو الوفا التقتازاني أنها من أصل يمني، كان أصحابها ذو نزعة إلى التشيع فقد ظهر التشيع في أول مرة في الكوفة، ومن شيوخ الزهد في القرن الأول الهجري بالكوفة الربيع بن خيثم (ت67هـ/686م) وكان يغلب عليه الخوف من الآخرة، ومن زهاد هذه المدرسة سعيد بن جبير الذي مات مقتولا سنة (95هـ/714م) وهو من التابعين ومنهم أيضا طاووس بن كيسان المتوفى سنة (106هـ/724م)ومن أبرز زهاد الكوفة سفيان الثوري المتوفى سنة (161هـ/778م) ويذكر من زهاد الكوفة أيضا سفيان ابن عيينة، كان إماما عالما زاهدا ورعا توفي بمكة سنة(198هـ/814م).[1]

هناك من الباحثين من يرجع ظهور التصوف في الكوفة إلى عامل سياسي إقتصادي يتمثل في أن الفقر والضعف الذي حل في الكوفة نتيجة معارضة أهلها لبني أمية وتضييق الأمويين عليهم بسبب موقفهم العدائي منهم جعل من الكوفة مركزا لإتخاذ الصوف لباسا لمعارضة السياسة الأموية، فقد كان الأمويون يشجعون لبس الحرير، واندفع أهل الكوفة مع موجة الزهد إلى لبس الصوف معارضة للأمويين.[2]

وبذلك انضوى تحت لواء كل من مدرسة المدينة والبصرة ومدرسة الكوفة فريق من النساك والعباد والزهاد، فشاع الزهد بين عباد المدينة والبصرة والكوفة.

[1] – أبو الوفا التقتازاني، مرجع سابق، ص 78، 79.

[2] – محمد بركات البيلي، مرجع سابق، ص 28.

3/أقطاب الزهد في القرنين الأول والثاني هجري:

ظهرت طائفة من الزهاد والعباد إبان القرنين الأول والثاني للهجرة واستمر ظهورهم بعد ذلك تحت اسم الصوفية بحيث كان الزهد أسمى صفاتهم نذكر منهم:

-الأحنف بن قيس:

ابن معاوية بن حصين، أبو بحر التميمي، أحد من يضرب بحلمه المثل وشهر بالأحنف لحنف رجليه وهو العوج والميل، أسلم في حياة النبي صلى الله عليه و سلم، كان ثقة مأمونا، قليل الحديث، عن الأحنف قال: كذبت مرة واحدة، سألني عمر عن ثوب بكم أخذته، فأسقطت ثلثي الثمن، قيل مات سنة 67هـ وقيل سنة 71هـ بالكوفة.[1]

-علقمة بن قيس:

فقيه الكوفة وعالمها ومقرئها، الإمام الحافظ المجتهد، أبو شبل علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك بن علقمة بن سلامان بن كهل، وقيل ابن كهيل بن بكر بن عوف ولد في أيام الرسالة المحمدية وهاجر في طلب العلم والجهاد ونزل الكوفة، وذاع صيته وجود القرآن، وكان طلبته يسألونه ويتفقهون به، اختلف في تاريخ وفاته فقيل سنة 61هـ وقيل سنة 65هـ وقيل 72هـ.[2]

[1] – شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج4، تح، شعيب الأرنؤوط ومأمون الصاغرجي،ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1401هـ– 1981م، ص 86.

[2] – نفسه، ص 53.

-الأسود بن يزيد:

ابن قيس، الإمام أبو عمرو النخعي الكوفي وقيل يكنى أبا عبد الرحمان وابن أخ علقمة بن قيس، وكان الأسود مخضرما أدرك الجاهلية والإسلام، يضرب بعبادته المثل، قد نقل العلماء في وفاة الأسود أقوالا يقول الذهبي ت(748هـ/1374م) أرجحها 75هـ.[1]

-معاذة بنت عبد الله:

السيدة العالمة قيل أنها كانت تحيي الليل عبادة وتقول: عجبت لعين تنام ،وقد علمت طول الرقاد في ظلم القبور، ولما استشهد زوجها وابنها في بعض الحروب ،اجتمع النساء عندها فقالت مرحبا بكن إن كنتن جئتن للهناء، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن وكانت تقول والله ما أحب البقاء إلا لأتقرب إلى ربي بالوسائل لعله يجمع بيني وبين أبي في الجنة توفيت سنة 83هـ.[2]

-عمر بن عبد العزيز:

ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، الإمام الحافظ العلامة المجتهد الزاهد العابد السيد أمير المؤمنين حقا أبو حفص، القرشي الأموي المدني ثم المصري، الخليفة الزاهد الراشد، وكان من أئمة الاجتهاد ومن الخلفاء الراشدين رحمه الله وكان الذين يعيبون عمر ممن يحسده بإفراطه بالنعمة فقد كان حسن الخلق حريصا على العدل وافر العلم ،زاهدا مع الخلافة ناطقا بالحق.[3]

كانت أمه أم عاصم ،ولد عمر في المدينة ووثق عمر بن عبد العزيز صلته بالعلماء الذين إشتغلوا بكتابة العلم ،ولم يكن يضايقه أن ينتقد علماء المدينة أساليب حكومة الأمويين وكان على

[1] - الذهبي ،مصدر سابق، ص 50.

[2] - نفسه ،ص 508.

[3] - نفسه، ص ص 114-117.

حد كبير من الورع والتدين وكان ورعه موجها لأعماله في أمور الدولة، [1] ولد سنة 63 هـ وتولى الخلافة سنة 99هـ سار عمر بن عبد العزيز في سنوات خلافته بسيرة الخلفاء الراشدين من الزهد والكفاف في حياته الدنيوية [2] أنصف رعيته وكان عادلا ،فسارت الحياة الإسلامية في عهده آمنة يسودها العدل والإنصاف كان يرد المظالم إلى أهلها ويأخذ الحقوق ممن اغتصبها، فكان إحساسه بالمسؤولية كبيرا قد حقق عمر بن عبد العزيز العدل في خلافته عرف بالخليفة العادل وضربت الأمثال في عهده، فكان يقبل النصيحة ويطلبها ولا يغفل عن نصح غيره وكان يكتب إلى عماله وولاته أن يجتنبوا الإشتغال عند حضور الصلاة ،حرص الخليفة عمر على الوصية لمن يلي الخلافة من بعده ومع عدالته وسياسته الراشدة كان أكثر الناس صلاة وصياما وأكثرهم خوفا من عذاب الله ،فكان عمر بن عبد العزيز حسن الخلق والخلق حريصا على العدل وافر العلم من أهل الزهد والورع [3]، توفي عمر بن عبد العزيز سنة (101هـ/719م).[4]

–مالك بن دينار:

هو مالك بن دينار أبو يحي البصري ،كان مولا لإمرة وكان زاهدا كثير الورع محدثا ويكتب المصاحف[5] بالأجرة ، أقام أربعين سنة لا يأكل من ثمار البصرة و لا يأكل إلامن عمل يده [6] و قال

[1]– يوليوس قلهوزن ،**تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى ظهور الدولة الأموية** تر،محمد عبد الهادي أبو ريدة،ط2، دار التأليف والترجمة ،القاهرة ، 1968م، ص 259.

[2]– مجدي فتحي السيد، **تاريخ الإسلام والمسلمين في العصر الأموي** ،د ط ،دار الصحابة ،1118هـ/1998م ،ص204.

[3]– نفسه ،ص 208،209.

[4]– عبد الرحمان بن خلدون،**تاريخ ابن خلدون**،ج3،د ط،دار الفكر،بيروت–لبنان،1421هـ–2000م،ص96.

[5]–الزبير بن بكار، **الأخبار الموفقيات**، تح، سامي مكي العاني ،ط2،عالم الكتب ،بيروت– لبنان ، 1416هـ ،1996م، ص95.

[6]– عبد الحي الحنبلي الدمشقي ، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ،تح ،عبد القادر الأرناؤوط ،ط1، دار ابن كثير، دمشق بيروت ، 1408هـ /1988 م، ص 118.

مالك بن دينار لما ولي عمر بن عبد العزيز قالت رعاء الشاء : من هذا الصالح الذي قام على الناس خليفة عدله كف الذئاب عن شائنا ، توفي سنة (131هـ/ 749 م). [1]

-حسن البصري (21هـ-110هـ/642م-728م):

هو شيخ المفكرين في العصر الأموي وإمام الزهاد وقدوة الوعاظ، [2] وهو أبو سعيد الحسن البصري ولد في مدينة الرسول صلى الله عليه و سلم في مدينة الفاروق عمر بن الخطاب ،من أب كان مولى لرجل من الأنصار وأم كانت مولاة لأم المؤمنين زوجة رسول الله صلى الله عليه و سلم أم سلمة ،وتربى الحسن البصري في بيت أم سلمة وشهد هذه النشأة الطاهرة وعاش زاهدا متبتلا ثم هاجر إلى البصرة فعاش فيها ونسب إليها ،وجالس الأخيار الصالحين فيها وتجرد قلبه من حب الدنيا وامتلأت روحه بالخوف من الله والإقبال على طاعته والإنصراف إلى عبادته طلبا للنجاة وفرارا من الهلاك في الآخرة،[3] فكان يحي حياة المسلم الزاهد في القرن الأول وفي شطر القرن الثاني للهجرة التي كان قوامها عنده الزهد في الدنيا والإعراض عن جاهها والإقبال على الله، والتمس تصفية القلب وتنقيته عن طريق التأمل والتفكر ،فكان تأمله وتفكره مضافا إليهما زهده وتقشفه أساسا أقيمت عليه حياته الزاهدة وكان يعبر عن زهده بالحزن الدائم الذي هو في رأيه خير ما يعين على تنمية العمل الصالح، وكان خائفا إلى أبعد حدود الخوف الذي لم يكن يرى شيئا أقدر منه على تغذية التقوى.[4]

التقى الحسن ببعض الصحابة فأخذ عنهم وتلقى كثيرا من علومهم وهو ناشئ، وأدرك في حياته عصر الخلفاء الراشدين وعصر الأمويين، فوجد في هذا العصر الأخير الأمة تجتمع في بعض الأحيان وتختلف في أكثرها ورآها في اجتماعها وافتراقها قد ضعف فيها صوت الدين كان لذلك أثر في نفس حسن البصري جعله يدرك قيمة الدين لذلك كان يدعوا الناس إلى الأخذ بما أخذ به سلف

[1]- عبد الرحمان جلال الدين السيوطي ، **تاريخ الخلفاء** ،ط1، دار الكتب العلمية ،بيروت- لبنان، د ت ،ص149.

[2]-محمد أبو زهرة، مرجع سابق، ص 303.

[3]- محمد عبد المنعم خفاجي، مرجع سابق، ص 16.

[4]-محمد مصطفى حلمي، مرجع سابق، ص 88.89.

الأمة والإهتداء بهديهم وإتباع منهجهم، [1] بالإضافة إلى ما تقدم كان يوصي بلزوم رياضة الذكر من أجل تطهير النفس[2] كان الحسن البصري في منهجه مؤمنا مخلصا لإيمانه لذلك تحمس للإيمان واشتد في طلبه، شهد الحسن ما حل بالأمة الإسلامية من فتن منها مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه مما كان له الأثر في نفس الحسن وآرائه وتوجهه إلى الدعوة إلى الآخرة والإستهانة بالدنيا [3]، وقد عاصر الحسن الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين زهدا وروعا وتحكيما للدين في سياسة الحكم.[4]

ومن صفاته الذكاء، فكان حاد الذكاء قوي الإدراك، الشجاعة، الزهد فكان زاهدا في عرض الدنيا متسامحا فلم يكن في دينه متعصبا ودعا إلى المحبة والسلام لا إلى الحرب والخصام يعد من أقوى رجال الفكر الإسلامي شخصية وأشدهم نفوذا وكان ذا إرادة قوية وخلق متين وكان يحترم نفسه ويتعفف عن الذهاب إلى الحكام فكان عالما فقيها محدثا متكلما أما بالنسبة لرأيه في بني أمية فالحسن وإن اعتزل السياسة عمليا لم يعتزلها فكريا بل كون له رأيا في كل الأحداث التي نزلت بالأمة الإسلامية[5].

لم يكن من أنصار بني أمية لكنه لم يدعوا الناس إلى الخروج عليهم فرأى أن صلاح الشعب يتبعه صلاح الحاكم وأن الثورة ليست هي الطريق لإصلاح نظام الدولة فكان الحسن ينكر مظالم بني أمية وينكر الخروج عليهم[6]

عاش الحسن البصري للإسلام ومع الإسلام طيلة حياته وصارت له مدرسة كبيرة في البصرة تضم صفوة من خيرة العباد والنساك وهي المدرسة الثانية في التصوف ويرجع إليه تأسيس فكر صوفي

[1]-محمد أبو زهرة ،مرجع سابق ، ص 309،310.

[2]-أبو الوفا التفتزاني، مرجع سابق، ص 76.

[3]-محمد أبو الزهرة، نفسه، ص 310.

[4]-محمد عبد المنعم خفاجي، مرجع سابق، ص17.

[5]-محمد أبو الزهرة، نفسه،ص ص 312-323.

[6]- نفسه ،ص 323.

أصيل في أواخر القرن الأول الهجري وجاء القرن الثاني يحمل في طياته آثار البناء الروحي في الإسلام على كواهل جماعات من البصريين وجماعات من الكوفيين من تلامذة إمامهم الحسن البصري [1] وكانت دروس الحسن البصري التي يلقيها في المسجد تحوي أنواعا كثيرة من المعلومات المتفرقة وفيها الموعظة والحكمة الحسنة، فتأثر به الكثير من أهل عصره فقضى الحسن حياته في النفع والإرشاد، وكان ذا أثر في تفكير كل من اتصل به من الرجال[2]

-سكينة بنت الحسين (126هـ-744م):

كانت السيدة سكينة حسناء في وقار وهيبة كأجمل ما تكون النساء الهاشميات من الفصاحة الكلامية تروي الشعر وتنقده، عفيفة محصنة واسمها "أمينة" وقد لقبتها أمها "سكينة" نسبها من أمها وإسم أمها "الرباب" بنت امرئ القيس بن عدى بن أوس الكلبي أسلم على يد عمر بن الخطاب وكان نصرانيا وكانت السيدة سكينة رمزا لبيت النبوة يضم منزلها شمل المسلمين لتوثيق قلوب المؤمنين والتعلق بآل البيت وإشاعة المودة والمحبة.[3]

توفيت بالحجاز سنة (126هـ/744هـ)، وصلى الناس عليها جماعات وفرادى وظل الناس يعلقون حول جثمانها بخور العود حتى غلبهم النعاس، وكانت السيدة سكينة كريمة صالحة ذات روحانية خاصة سيدة نساء عصرها في البلاغة، يعرف ذلك من سمات وجهها وفي عينيها الخاشعتين المملوءتين بالطهر والعفاف، تحب الجمال في كل شيء حولها وما يقع تحت نظرها في هيئتها وبيتها وملبسها ثم تقبل على محرابها تناجي ربها بعد أداء واجب زوجها ومنزلها.[4]

[1]-محمد عبد المنعم خفاجي، مرجع سابق، ص 15.

[2]-محمد أبو الزهرة،مرجع سابق ،ص 329.

[3]-محمد عبد المنعم خفاجي،نفسه ، ص 18.

[4]-نفسه،ص 19.

-واصل بن عطاء(80هـ-131هـ/ 699م-749م):

واصل من أصل فارسي ولد واصل بالمدينة المنورة وانتقل إلى العراق وقضى فيه سن التعلم كان تلميذا للحسن البصري، يقرأ عليه العلوم والأخبار واستمر تلميذا للحسن إلى أن اعتزل مجلسه عندما اختلفا في مسألة مرتكب الكبيرة واستمد واصل من العراق وورث ما فيه من نزعات فكرية وإضطرابات مذهبية فكان شديد الإيمان بالله، قويا في دينه كثير المراقبة لعيوبه شديد المآخذ لنفسه، وامتاز بصفات جعلته من كبار الرجال فلم يكن ثرثارا كثير الفضول بل كان لا ينطق إلا بقدر معلوم وعند الحاجة كان مع صمته قوي الذهن حاضر البديهة [1].

كان من الخطباء السياسيين يجيد الخطابة من أقدر الناس على الإرتجال، كان واصل ممن امتلأ قلبه رهبة وروعة ومراقبة لله وثقة به واطمئنانا لحكمه فكان يقول: "المؤمن إذا جاع صبر، وإذا شبع شكر" وبذلك أخذ نفسه وسار على هذا المنهج واتبع هذا الطريق فهو صابر أو شاكر مطمئن في كلتا الحالتين، لقد كان شديدا في الله شدة لا حد لها[2].

-سفيان الثوري (161هـ-778م):

ولد سنة 97 هـ كان يمتاز بالصراحة والإخلاص مقبلا على العلم مدققا فيه له شخصية علمية بكل معنى الكلمة، فأول العلم في رأيه طلبه ثم العمل به ثم صونه وكان زاهدا عابدا يمكث ليومين أو ثلاثة لا يأكل حتى يضربه الجوع شاغلة العبادة عنه ذلك، وله رسالة كتبها إلى أحد العباد تبين نزعته إلى التمسك بالسنة والإقتداء بالسلف فكان يقول في الزهد:" الزهد في الدنيا هو قصر الأمل وليس بأكل الخشن ولا بلبس الغليظ والعباء وإن الرجل ليكون عنده المال وهو زاهد في الدنيا، وإن الرجل

[1]- محمد أبو الزهرة، مرجع سابق،ص ص 332،337،338،343.

[2]- نفسه، ص 332.

ليكون فقيرا وهو راغب فيها" [1]، وكان سفيان الثوري يسأل رابعة العدوية (ت 185هـ/801م) عن مسائل ويعتمد عليها ويرغب في موعظتها ودعائها[2].

يعتبر سفيان الثوري أحد مشاهير الكوفة[3]، كان سفيان الثوري زاهدا عالما عابدا كانوا يسمونه أمير المؤمنين في الحديث، كان لا يعلم أحد العلم إلا إذا تعلم الأدب والتزمه، وكان يقول: إذا فسد العلماء فمن بقي في الدنيا يصلحهم كان أعلم هذه الأمة وأعبدها وأزهدها، توفي بالبصرة سنة(161هـ-778م)[4].

-إبراهيم بن أدهم (161هـ/778م):

أمير من أبناء الملوك وهو أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منظور من كورة بلخ[5]،نشأ في صباه على حظ وافر من النعمة والسلطان، صادق راعيا لأبيه فأخذ جبة للراعي من صوف ولبسها وأعطاه فرسه وما معه ثم دخل، مكة وصحب بها سفيان الثوري وفضيل بن عياض من كبار صوفية ذلك العهد ودخل الشام ومات فيها [6].ترك السلطان ومفاتنه فآثر الآخرة على الدنيا وابتعد عن مغريات الحكم وفتن الإمارة، وذهب يطلب الرزق الحلال من كسب يده وعمله فكان يعمل في الحصاد حينا ويحرس البساتين حينا آخر ومن أظهر صفاته النفسية الورع والعفة والتقشف، والتواضع ومخافة الله والوفاء والإحسان[7]

[1]-أحمد توفيق عياد، مرجع سابق، ص 49.

[2]- أبي عبد الرحمان محمد السلمي،طبقات الصوفية و ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات ،تح ،مصطفى عبد القادرعطا،ط2،دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،1424هـ-2003م، ص 387.

[3]-محمد عبد المنعم خفاجي، مرجع سابق، ص 12.

[4]-أبو القاسم القشيري، مصدر سابق، ص 43.

[5]- مدينة بخراسان

[6]-أبو القاسم القشيري، نفسه، ص 43.

[7]-أحمد توفيق عياد، نفسه، ص 46.

كان إبراهيم بن أدهم كبير الشأن في باب الورع [1]،فترك طريقته في التزيين بالدنيا فرجع إلى طريقة أهل الزهد و الورع.

تركه للملك وزهده في الحياة أكسبه الورع ،فإن جاءه الرزق الحلال أكل واطمأن وإن ولى عنه الرزق الحلال صبر واحتمل الجوع كان أمينا في أداء واجبه كحارس للبستان، ومما أثر عنه قوله: "عليك بعمل الأبطال والكسب الحلال والنفقة على العيال".[2]

[1]-أبو القاسم القشيري،مصدر سابق ، ص44.

[2]-أحمد توفيق عياد، مرجع سابق، ص 47-48.

3/آثاره الإجتماعية والدينية:

إن التصوف في أول عهده لم يكن مختلفا عن الفقر والزهد وما إليهما مما كان شائعا بين الصحابة والتابعين وغيرهم من السلف الصالح في القرنين الأولين للهجرة، ولكنه ما لبث بعد ذلك أن زاد على معنى الفقر والزهد بعض المعاني التي تختلف كثيرا أو قليلا عنهما وذلك مع إحتفاظه بهما على أنهما أساسان ضروريان من الأسس التي أقيم عليها بناؤه، والتي كانت تقوى وتتجدد كلما تقدم الزمن وتطورت الحياة وعاش الصوفية في أجواء مختلفة عن ذلك الجو الذي كان يعيش فيه الزهاد الأولون من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم، فنشأ التصوف عن الزهد ثم تطور بعد ذلك حتى أخد صورا جديدة.

ضل الزهاد يحيون طوال القرنين الأوليين للهجرة حياة بسيطة حتى أشرف القرن الثاني للهجرة على نهايته، وإذا بزهد أولئك الزهاد يتطور ويأخذ صورة العلم المنظم تنظيما ساذجا بسيطا في أول الأمر، ثم دقيقا مضبوطا بعد ذلك إذ أصبح الزهاد يعرفون باسم الصوفية، وأصبحت لهم طريقتهم التي تدعو إلى مذهبهم في مختلف نواحي الحياة النظرية والعملية تعرف باسم التصوف، فكانت حياة النبي وأصحابه هي البذرة الأولى التي نبت منها زهد الزهاد فكان زهد هؤلاء هو البذرة الثانية التي نبت منها تصوف الصوفية[1]، فكان التصوف الإسلامي في بدايته مقصورا على الحياة الزهدية القائمة على الإعتزال والتأمل وتطور بعد ذلك ليصبح منهجا دينيا محددا واتجاها نفسيا وعقليا معينا[2].

كانت نزعة التصوف التي بدأت في القرن الثاني الهجري طابعها الورع والزهد كانت إحتجاجا على الإنحراف عن المبادئ الإسلامية ثم تطورت بمرور الزمن لتصبح نظاما معينا في العبادة وإتجاها نفسيا وعقليا ومما أثر في التصوف وأدى إلى تطوره إكتظاظ الخلافة الإسلامية بمختلف العصبيات

[1]-محمد مصطفى حلمي، مرجع سابق، ص 99.

[2]-مختار الطاهر فيلالي، **نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني**،ط1، دار الفن الغرافيكي، د م ن ، د ت ،ص33.

الجنسية والطوائف الدينية [1]، فدخل في الإسلام كثير من الأمم الأخرى وأهل الديانات كالنصارى وغيرهم وإنتشرت الفلسفة اليونانية والأفلاطونية الحديثة وبذلك دخلت أفكار جديدة للتصوف [2]، وتأثر بتلك الديانات القديمة فتسربت إليه عادات وإتجاهات جديدة كالقول بالفناء [3] وغير ذلك من الفلسفات[4]، وبذلك حدثت تطورات عديدة في التصوف دخلت إليه أفكار أجنبية وفلسفات غير إسلامية [5]، إن التصوف الإسلامي الذي كان طريقا للعبادة أصبح طريقا للمعرفة فاتجه المتصوف إلى الكلام عن معاني لم تكن معروفة من قبل، فتكلموا عن الأخلاق والنفس والسلوك محددين طريقا إلى الله يترقى السالك له فيما يعرف بالمقامات [6]والأحوال[7]ووضعوا قواعد نظرية لهم وأصبحت لهم لغة رمزية خاصة لا يشاركهم فيها سواهم[8].

كان التصوف في بداية عهده مذهبا واحدا ذا أسلوب واحد ثم دخله التفرق باختلاف البيئات، فنشأ عن ذلك طرائق لكل طريقة تقاليد وعادات ونظم خاصة في عباداتها [9]، وبذلك أصبحوا ينظمون أنفسهم كطوائف وطرق يخضعون فيها لنظم خاصة بكل طريقة [10] وأصبحت كلمة طريقة تشير إلى مجموعة الآداب والأخلاق التي يتمسك بها طائفة الصوفية [11]، ظهرت شخصيات

---

[1]-مختار الطاهر فيلالي، مرجع سابق، ص11.

[2]-أحمد أمين، **موسوعة الحضارة الإسلامية ظهر الإسلام**، ج6،ط1 ،دار العزة والكرامة 2011م2012م،ص297.

[3]- الفناء: هو سقوط الأوصاف المذمومة . أنظر: القشيري،مصدر سابق،ص148.

[4]-مختار الطاهر فيلالي. نفسه. ص 14.

[5]-إحسان إلاهي ظهير، مرجع سابق، ص49.

[6]-المقامات: جمع مقام وهو الخطبة أوالعظة يلقيها الرجل في حضرة الخليفة أو الملك أما الصوفية فالمقام عندهم معناه مقام العبد بين يدي الله فيما يقام فيه من العبادات،أنظر:عبد الله أحمد بن عجيبة**معراج التشوق إلى حقائق التصوف**،تح،عبد المجيد خيالي،دط،د م ت ث م،الدار البيضاء،د ت،ص49.

[7]-الأحوال: فعدوا منها التأمل والقرب والمحبة والخوف وغيرها ويقولون أن المقامات يتوصل إليها بمجهود شخصي أما الأحوال فموهبة من الله ،أنظر:عبد الله أحمد بن عجيبة،نفسه،ص48.

[8]- أبو الوفا التفتازاني،مرجع سابق،ص ص95-99.

[9]- ماسينون و عبد الرزاق ،مرجع سابق. ص 8.

[10]-نورالدين موهوبي. مرجع سابق. ص27.

[11]-أبو الوفا التفتازاني،نفسه. ص 108.

قوية من المتصوفة أسسوا منهاجا وطريقا معينا للتصوف، ووضعوا له مقامات ومراتب لا بد للسالك من إتباعها وأصبح للتصوف فلسفة خاصة واتجاه معين، وبذلك أصبح التصوف طريقا للمعرفة فأثر التصوف على ظهور الفرق الإسلامية [1]، ومن ثم ظهور البدع وحصول التداعي بين الفرق فكل فريق إدعوا أن فيمهم زهادا [2] مما تجدر الإشارة إليه أن الصوفية في مرحلة من مراحل تفكيرها الديني كانت في عزلة، لم تتبادل مع العناصر ذات الثقافة الغير إسلامية التي كانت تعيش معها ولذا كان تفكيرها ذا طابع خاص يتميز بالبساطة والصراحة والبعد عن الطابع الفلسفي، وببروز الصراع الفكري والعقلي الذي أصبحت تعرفه المجتمعات الإسلامية، خاصة منذ أواخر القرن الثاني هجري بين مختلف الفرق الدينية والأحزاب السياسية فقد أصبح التصوف النظري منذ أواخر القرن الثاني لونا من ألوان التفكير الإسلامي له نظرياته وله أهله القائمون على حقائقه وهو العصر الذي احتدم فيه الجدل بين الفرق وأصبح للتصوف علم خاص به.[3]

يقول ابن خلدون "هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة" [4] لا ننسى كذلك أن التصوف أصبغ العلوم الدينية والشرعية بالطابع الروحي والأخلاقي وساهم من ناحية أخرى في إثراء المكتبات الإسلامية بفضل التأليف في مختلف الميادين في علوم الزهد والورع والعبادة وبذلك فقد أصبح زهاد القرنين الأوليين للهجرة قدوة للناس فأصبحوا يرددون أقولهم وعلومهم.[5]

أما فيما يخص تأثير التصوف في العصر الأموي من الناحية الإجتماعية يتمثل في:

إن التصوف الذي جاء كرد فعل لسوء توزيع الثروة الذي أدى إلى فقر الأغلبية وغنى الأقلية وإنغماس هذه الأخيرة في الملذات والتبذير وما نشأ عن ظاهرة الفقر من الحقد وفساد الأخلاق

[1]-مختار الطاهر فيلالي. مرجع سابق ص 14.

[2]-محمود أبو الفيض المنوفي. مرجع سابق. ص14.

[3]- نور الدين موهوبي، مرجع سابق، ص 30،31.

[4]- عبد الرحمان بن خلدون، مصدر سابق. ص611.

[5]-نور الدين موهوبي. نفسه، ص 39.

والطباع والثورات وانتشار نزعة التصوف الناتجة عن الإحتجاج على الأوضاع السائدة في العصر الأموي[1]، كان في بداية عهده سلوكا وعملا تطبيقيا لروح الشريعة ونصوصها وتخلقا بآدابها وبالتالي فإن رجال التصوف كان لهم دورهم الإجتماعي في الحياة الدينية ويتمثل هذا الدور في حياتهم اليومية وسلوكهم وأفكارهم السياسية والإجتماعية والأخلاقية التي كانت تعبر عن وجهات نظرهم وموقفهم من التطورات السياسية والإجتماعية.[2]

التصوف في حقيقته مجموعة من المبادئ المتكاملة التي تحكم تصرفات أصحابه في مختلف أوجه حياتهم الروحية والدينية والإجتماعية [3] والإقتصادية والسياسية إهتم التصوف بالتربية الروحية والأخلاقية لإرتباطهما ببعض إرتباطا وثيقا، فلا حياة روحية دون حياة أخلاقية وكان للتصوف أثر نفسي لحل المشاكل التي أوجدتها الحياة المادية في العصر الأموي [4]، وكان له أثر إجتماعي ظهر بوضوح في حياة المسلمين وبخاصة في عهود الإنحلال السياسي وضعف الحكومات فقد انفردوا دون غيرهم في هذه الناحية بالعناية بكل وسائل الإصلاح الإجتماعي دون الإعتماد على الحكومة في نشاطهم[5]، فكان الصوفية دعاة للأخلاق في وقت إنحرف فيه المسلمون عن المبادئ السامية للقرآن والسنة النبوية، بحيث كان الصوفية نماذج للجلال الخلقي والروحي ومن ناحية أخرى فقد أدى الصوفيون خدمات للإنسانية بنشرهم أفكار إنسانية مثل إحترام الإنسان وصيانة كرامته دون النظر إلى طبقته أو لونه أو عرقه، لقد كان بعض الصوفية بسلوكهم النبيل قدوة لغيرهم[6].

من كل ما تقدم يتضح لنا أن التصوف في العصر الأموي كان الزهد فيه بمثابة المدخل إلى أبواب التصوف أو التمهيد الذي يمهد النفس الإنسانية لتحقيق التصوف، وكان إستقاءا من حياة

[1]- مختار الطاهر فيلالي. مرجع سابق،ص12

[2]- نور الدين موهوبي، مرجع سابق، ص 40.

[3]- منال عبد المنعم جاد الله، مرجع سابق، ص 254.

[4]- نفسه، ص 54.

[5]- أحمد توفيق عياد، مرجع سابق، ص 322.

[6]- نور الدين موهوبي،نفسه،. ص 43.

النبي والصحابة والتابعين فكان الزهد السمة البارزة له فكان بسيطا لا يخرج عن إطار عبادة الله والخوف منه بالإبتعاد عن ملذات الحياة وشهواتها، فسار على هذا النهج زهاد القرنين الأوليين للهجرة فكان الزهد والورع من أبرز سماتهم وتجسد هذا الزهد في المدارس الثلاث (مدرسة المدينة، البصرة،الكوفة)، فكان التصوف في العصر الأموي كرد فعل لتيار الحياة المادية الذي غلب على كثير من المسلمين منذ قيام الدولة الأموية، فقام التصوف في العصر الأموي على نبذ الحياة الدنيا وطلب الزهد تمردا على التيار الذي جرف معظم المسلمين إلى التعلق بالقيم المادية، إن فكرة التصوف ضلت خالية من أي تعقيدات ولكن فيما بعد إختلط الصوفية بمختلف التيارات الفكرية والفلسفية فظهرت أفكار غريبة و جديدة إلى التصوف، فكان في عهوده الأولى يقوم على دعائم إسلامية بحتة، ظل كذلك حتى إصطبغ التصوف بالصبغة العلمية، وما يمكن إستنتاجه أن زهاد الفترة الأولى من التصوف كانوا بعيدين كل البعد عن الحياة السياسية وإضطراباتها فلم يدعوا أحدهم إلى الثورات أو الفتن أو الخروج عن الدولة الأموية بل إكتفوا بتكريس حياتهم للزهد منعزلين دون الإصطدام بالمجتمع.

خاتمة

خاتمة:

توصلنا من خلال دراستنا لموضوع " ظهور التصوف في العصر الأموي(41 هـ-132هـ) " أن نزعة التصوف إتسمت بطابع الزهد و الورع ، كانت إحتجاجا على الإنحراف عن المبادئ الإسلامية ثم تطورت بمرور الزمن لتصبح نظاما معينا في العبادة ، و على هذا المنوال توصلنا إلى مجموعة من الإستنتاجات نجملها فيما يلي :

1- تعدد آراء العلماء و الباحثين و إختلافهم في تحديد مفهوم واضح للتصوف، و كذا في إشتقاق كلمة " صوفية" فقيل من الصفاء أو الصفة أو الصف الأول ، أو نسبة لكلمة سوفيا اليونانية.

2- أن التصوف الإسلامي نشأ في كنف الإسلام و لم يكن وليدا لمصادر أجنبية ، فكانت منابعه الأولى مستوحاة من القرآن الكريم و السيرة النبوية و حياة الصحابة و التابعين .

3-ظهر التصوف كنتيجة طبيعية لتصاعد حركة الزهد في المجتمع الإسلامي ، و كرد فعل للترف الذي تزايد حتى بلغ أوجه في العصر الأموي فانغمس فيه الخلفاء و كبار رجال الدولة و امتلكوا ثروات طائلة ، كما تزايد نفور المسلمين من جور الحكام و استبدادهم فاتهموهم بالخروج عن الإسلام، و اندلعت الثورات و الفتن هنا و هناك بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان و مع إعتلاء بني أمية الحكم ، تأججت نار الفتن أكثر ، ما زاد الزهاد عزوفا عن الدنيا و توغلا في الزهد متصاعدين به ، فأدى بهم هذا التصاعد إلى ولوج باب التصوف و الدخول فيه .

4-نشأ التصوف الإسلامي في العصر الأموي نشأة إسلامية تميز فيه بالإقتداء بالرسول صلى الله عليه و سلم الذي كان يتعبد في خلوة غار حراء بعيدا عن الناس ، و كان الخلفاء الراشدون يميلون إلى البساطة و الزهد في الدنيا و العبادة إلا أنهم ليسوا صوفيين بالمعنى الذي وصلت إليه الصوفية فيما بعد.

5- التصوف في العصر الأموي كان عبارة عن حركة زهدية لجأ إليه جماعة من المسلمين تاركين ملذات الدنيا سعيا للفوز بالجنة و خوفا من عذاب الآخرة و إقتداء بالنبي صلى الله عليه و سلم وصحابته في الزهد.

6- أن التصوف في العصر الأموي بشكله الفني لم يظهر في هذه الفترة و إنما كان عبارة عن زهد و حركة تمهيدية لظهور التصوف .

7- تجسد الزهد في العصر الأموي من خلال ثلاث مدارس تميزت بالتنسك و العبادة ، فكان لها الأثر الواسع في ظهور نزعة التصوف فيما بعد .

8-كانت عبادة الله خوفا من ناره و طمعا في جنته و حبا و ابتغاءا لوجهه الكريم ، غاية زهاد القرنين الأولين للهجرة ، فامتازوا في حياتهم بالتقلل و التزهد نذكر منهم : عمر بن عبد العزيز ، مالك بن دينار ،الحسن البصري ، هؤلاء الزهاد

و العباد الذين ظهروا إبان القرنين الأول و الثاني للهجرة و استمر ظهورهم بعد ذلك حتى عرفوا باسم الصوفية .

9-بعدما كان التصوف مطبوعا بطابع الزهد مصحوبا بالحزن و البكاء و الخوف من الله، لكن ما لبث هذا التصوف أن أصبح علما قائما بذاته له أفكاره و معتقداته الخاصة به فامتزج بمختلف الثقافات و الفلسفات مما أدى إلى دخول و تسرب أفكار و معاني جديدة أثرت في التصوف ، فأصبحت له فلسفة خاصة و إتجاه معين به، ما أدى إلى ظهور ما يعرف باسم الطرق الصوفية و ظهور شخصيات أثرت في التصوف فحاد عن أسسه و مبادئه الأولى.

في الأخير يمكن القول أن التصوف في القرنين الأولين للهجرة كان طريقا من طرق العبادة يتسمى باسم الزهد و كان قوامه الورع و التقوى.

الملاحق

النصوص

ملحق رقم :01 رسالة الإمام القشيري إلى جماعة الصوفية ببلدان الإسلام

رسالة الامام القشيري

إلى جماعة الصوفية ببلدان الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى تفرد بجلال ملكوته[١]، وتوحد بجال جبروته[٢] وتعزز بعلو أحديته ، وتقدس بسمو صمديته[٣] ، وتكبر فى ذاته عن مضارعة كل نظير[٤] وتنزه فى صفاته عن كل تناه وقصور ، له الصفات المختصة بحقه[٥] ، والآيات الناطقة بأنه غير مشبه بخلقه .

فسبحانه من عزيز ، لاحد يناله[٦]، ولاعد يحتاله[٧] ، ولا أمد[٨] يحصره ، ولا أحد ينصره ، ولا ولد يشفعه ، ولاعدد يجمعه ، ولامكان يمسكه ، ولا زمان يدركه ، ولا فهم يقدره ، ولا وهم يصوره .

تعالى عن أن يقال : كيف هو ؟ أو أين هو ؟ أو اكتسب بصنعه الزين[٩] ، أو دفع بفعله النقص والشين ؛ إذ ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ، ولا يغلبه حى ، وهو الخبير للقدير .

أحمده على ما يولى ويصنع . وأشكره على ما يزوى[1] ويدفع[2] ، وأتوكل عليه وأقنع ، وأرضى بما يعطى ويمنع .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، شهادة موقن بتوحيده ، مستجير بحسن تأييده .

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده المصطفى ، وأمينه المجتبى[3] ورسوله المبعوث إلى كافة الورى . صلى الله عليه وعلى آله مصابيح الدجى ، وعلى أصحابه مفاتيح الهدى ، وسلم تسليما كثيرا .

هذه رسالة كتبها الفقير إلى الله تعالى عبد الكريم بن هوازن القشيرى ، إلى جماعة الصوفية بسلمان الإسلام ، فى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة .

أما بعـد :

- رضى الله عنكم - فقد جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه ، وفضلهم على الكافة من عباده ، بعد رسله وأنبيائه ، صلوات الله وسلامه عليهم ، وجعل قلوبهم معادن أسراره ، واختصهم من بين الأمة بطوالع أنواره .

فهم الغياث للخلق ، والدائرون فى عموم أحوالهم مع الحق بالحق .

صفاهم من كدورات[4] البشرية ، ورقاهم إلى محال[5] المشاهدات بما تجلى لهم من حقائق الأحدية ، ووفقهم للقيام بآداب العبودية ، وأشهدهم مجارى أحكام الربوبية[6] .

فقاموا بأداء ما عليهم من واجبات التكليف ، وتحققوا[7] بما منه سبحانه لهم من التقليب والتصريف .

أبو القاسم القشيري ، مصدر سابق ص 17-18

الخرائط

ملحق رقم :02خريطة تمثل الدولة الأموية في أوج اتساعاتها



شوقي أبو خليل، أطلس التاريخ العربي الإسلا مي، ط 1، دار الفكر، دمشق،-سوريا، 2005م ، ص47.

قائمة المصادر

و المراجع

قائمة المصادر العربية:

- القرآن الكريم

أ

- أيوب حسن، **الخلفاء الراشدون**، ط 1، دار السلام،القاهرة، 1423هـ/2003م.

ب

- بن بكار الزبير (أبوعبد الله الزبير بن بكار ، ت 256هـ /870م) ، **الأخبار الموفقيات** ، تح سامي مكي العاني ، ط 2 عالم الكتب ، بيروت ، لبنان.1416هـ/1996م.

ت

-ابن تيمية (تقي الدين أحمد ، ت 728هـ/1328م) :

1- **الصوفية و الفقراء**، د ط، دار المدني،القاهرة، د ت.

2- **فقه التصوف**، ط1، دار الفكر العربي،بيروت، لبنان 1993م.

ج

- ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمان بن علي البغدادي ، ت 597هـ/1201 م) **تلبيس إبليس** ، ط 1 ، دار حزم ، بيروت ، لبنان 1426م .

ح

- الحنبلي الدمشقي (شهاب الدين أبي الفلاح) **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، تح عبد القادر الأرنؤوط، ط 1 ، در ابن كثير ، دمشق ، بيروت،1408هـ/1988م.

خ

- ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الحضر مي ، ت 808هـ/1406م)

1- **المقدمة** ، ط 1، دار ابن حزم ، مصر القاهرة ، 2010م

2- **تاريخ ابن خلدون** ج 3 ، د ط، دار الفكر، بيروت- لبنان ، 1421هـ/ 2000م

- ابن خلكان (أبو العباس بن محمد بن أبي بكر الإربلي ، ت 681هـ/1288م) **وفيات الأعيان** ، ج 1 ، د ط ، درا صادر، بيروت ، 1968 م.

ذ

- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ، ت 748هـ/1374م) ، **سير أعلام النبلاء** ، ج4، تح شعيب الأرناؤوط و مأمون الصاغرجي ، ط 1 ،مؤسسة الرسالة، بيروت ، 1401 هـ/ 1981 م

س

- السراج الطوسي(أبو نصر محمد بن أحمد ،ت 378هـ/989 م) **اللمع** ، تح عبد الحليم محمود و عبد الباقي سرور ،د ط، دار الكتب الحديثة مكتبة المثنى ، مصر بغداد ، 1370هـ/1960م.

- السلمي (أبي عبد الرحمان محمد بن الحسين ، ت 412هـ/1221م .).

1- **طبقات الصوفية و ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات** ، تح مصطفى عبد القادر عطا ، ط 2، دار الكتب العلمية ، بيروت -لبنان ، 1424هـ-2003م.

2- **الطبقات الصوفية**، تح أحمد الشرباصي، ط2، دار كتاب الشعب ، دم ن، 1429هـ /1998 م

- السيوطي (أبو الفضل عبد الرحمان بن أبي بكر بن محمد جلال الدين ، ت (911هـ /1505م) **تاريخ الخلفاء** ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت -لبنان،2008م.

ش

- الشافعي (الحبيب عبد الله بن علوي الحداد الحضرمي ، ت 1132هـ/1719م)، **رسالة أداب سلوك المريد** ، ط 1، دار الحاوي، د م ن، 1414هـ /1994م

ع

- بن عجيبة (عبد الله أحمد ، ت 1224هـ /1808 م) **معراج التشوف إلى حقائق التصوف** ، تح عبد المجيد خيالي ،د ط ، م ت ث م، الدار البيضاء، د ت .

- عزام عبد الوهاب ، **التصوف و فريد الدين العطار** ، د ط ، دار هنداوي ، د م ن ، دت .

غ

- الغزالي (أبو حامد محمد بن الطوسي ، ت 505هـ/1112م).

1- **إحياء علوم الدين**، مج 5،ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2008 م.

2- **المنقذ من الضلال و الموصل إلى ذي العزة و الجلال** ، تح جميل صليبا و كامل عياد ط 7، دار الأندلس، بيروت، 1967 م.

ق

- القشيري(عبد الكريم بن هوزان أبو القاسم ، ت 465هـ/1068 م) **الرسالة القشرية**، تح عبد الحكيم محمود و محمود بن الشريف، د ط ، مؤسسة دار الشعب ، القاهرة ، 1409هـ /1989م.

م

- المحاسبي (أبي عبد الله الحارث بن أسد 243هـ/857م)، **الرعاية لحقوق الله** ، تح عبد القادر أحمد عطا ، ط ،4 دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، دت.

قائمة المراجع العربية :

- البيلي محمد بركات ، **الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن 5هـ**،د ط، دار النهضة العربية القاهرة، 1993م.

-محمد تركي إبراهيم، **التصوف الإسلامي أصوله وتطوراته** ،ط1، دار الوفاء، الإسكندرية، 2007م.

-التقتازاني أبو الوفا الغنيمي، **مدخل إلى التصوف الإسلامي**،د ط، دار الثقافة ، القاهرة،دت.

- جاد الله منال عبد المنعم، **التصوف في مصر والمغرب** ،د ط، منشأة المعارف، الإسكندرية ، دت.

-حربي محمد ، **ابن تيمية وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره** ،ط1، دار عالم الكتب، بيروت، 1407هـ/1987م).

- حلمي محمد مصطفى ، **الحياة الروحية في الإسلام** ،ط2، الهيئة المصرية للكتاب، د م ن ، دت .

- الحميدي عبد العزيز، **السيرة النبوية 3** ، ط1،دار الدعوة، الإسكندرية ، 1418هـ /1997م.

- الخضري بك محمد ، **إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء** ، تح عبد المنعم العاني ، ط 2، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، 2008 م.

- خفاجي محمد عبد المنعم ، **التصوف في الإسلام وأعلامه**،ط1، دار الوفاء، الإسكندرية- مصر، 2002م.

- أبو خليل شوقي ، **أطلس التاريخ العربي الإسلامي** ، ط 1 ، دار الفكر ، دمشق سوريا ، 2005م

- أبو زهرة محمد **تاريخ الجدل**، د ط، دار الفكر العربي،الإسكندرية، د ت.

- أبو زهو محمد، **الحديث و المحدثون**، ط 1، مطبعة مصر،مصر، 1378هـ/1958 م.

-السيد مجدي فتحي، **تاريخ الإسلام والمسلمين في العصر الأموي** ،دط، دار الصحابة،د م ن، 118هـ/1998م

-الشافعي حسن والعجمي أبو اليزيد ، **في التصوف الإسلامي**،ط1، دار السلام، القاهرة- مصر، 1428هـ، 2007م.

-الشكعة مصطفى ، **إسلام بلا مذاهب** ، ط ،6 الدار المصرية اللبنانية ، مصر لبنان، دت .

- صبحي أحمد محمود ، **التصوف إيجابياته و سلبياته** ، د ط ، دار المعارف ، القاهرة ، دت .

- ظهير إحسان إلاهي ، **التصوف المنشأ و المصادر** ، ط 1، دار ترجمان السنة ، د م ن ، 1406هـ/1986 م.

-عياد أحمد توفيق ، الت **صوف الإسلامي تاريخه و مدارسه و طبيعته و آثاره** ، د ط ، مكتبة الأنجلوالمصرية ، مصر،1970 م.

- فيلالي مختار الطاهر ، **نشأة المرابطين و الطرف الصوفية و أثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني** ، ط1 ، دار الفن الغرافيكي ، د م ن ، د ت.

- قاسم عبد الحكيم عبد الغني ، **المذاهب الصوفية و مدارسها** ، ط 1، مكتبة مديولين القاهرة ، 1989 م .

- كنعان محمد بن أحمد ، **تاريخ الخلافة الراشدة** ، ط 1، مؤسسة المعارف بيروت ، لبنان، 1417هـ 1997 م

- مبارك زكي، **التصوف الإسلامي في الأدب و الأخلاق** ، ج 1 ، د ط، المكتبة العصرية ، بيروت ، دت .

- المصري جميل عبد الله ، **أثر أهل الكتاب في الفتن و الحروب الأهلية في القرن الأول هجري** ، د ط، مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، دت .

- المنوفي محمود أبو الفيض ، **التصوف الإسلامي الخالص** ، د ط ، دار النهضة الفجالة القاهرة ، دت .

- هيكل محمد حسين، **عثمان بن عفان بين الخلافة و الملك**، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2007 م.

- هيمة عبد الحميد، **الخطاب الصوفي و آليات التأويل** ، د ط، موفم للنشر، الجزائر ، 2008م.

قائمة المراجع المعربة :

- قلهوزن يوليوس

1 - **تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام غلى ظهور الدولة الأموية** ، تر محمد عبد الهادي أبوريده ، ط 2، دار التأليف و الترجمة ، القاهرة 1968م

2 - **أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام الخوارج و الشيعة** ، تر عبد الرحمان بدوي ، د ط ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، دت.

- ماسينون و مصطفى عبد الرزاق ، **التصوف** ، تر دائرة المعارف الإسلامية إبراهيم خورشيد و آخرون ، ط 1،دار الكتاب اللبناني ، لبنان، 1984م.

-الموسوعات :

-أمين أحمد، **موسوعة الحضارة الإسلامية**، ظهر الإسلام ، ج 6، ط1، دار العزة و الكرامة، دم ن، 2011-2012 م.

المذكرات:

-بن أحمد بن إسماعيل فلاح ، **العلاقة بين التشييع و التصوف** ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ، إشراف عبد الله بن محمد الغنيمان ، الجامعة الإسلامية ، المملكة السعودية 1411 هـ.

-موهوبي نور الدين ، **التصوف الإسلامي في المشرق في القرن الثالث هجري** ، مذكرة لنيل شهادة تمهيدية ماجستير ، إشراف صبحيه الخطيب ، جامعة الجزائر 1985م .

قائمة الفهارس

فهرس الآيـــــات :

- الآية 69 من سورة العنكبوت ، ص 10
- الآية 273من سورة البقرة، ص 17
- الآية 77 من سورة القصص ، ص 19
- الآية 32 من سورة الأعراف ، ص 20
- الآية 20 من سورة الحديد، ص 20
- الآية 14من سورة أل عمران، ص 20
- الآية 69 من سورة العنكبوت، ص 20
- الآيتان 40،41 من سورة النازعات، ص 20
- الآية 13 من سورة الحجرات، ص 20
- الآية 77 من سورة النساء، ص 20
- الآية 03من سورة الطلاق، ص 20
- الآية 07من سورة إبراهيم، ص 20
- الآية 127من سورة النحل ، ص 20
- الآية 119من سورة المائدة، ص 20
- الآية 14 من سورة العلق، ص 20
- الآية 273من سورة البقرة، ص 20
- الآية 38 من سورة محمد، ص 20
- الآية 54 من سورة المائدة ، ص 21
- الآية 16من سورة السجدة، ص 21
- الآية 05من سورة العنكبوت، ص 21

- الآية 34 من سورة فاطر، ص 21
- الآية 41من سورة الأحزاب، ص 21
- الآية 62 من سورة يونس، ص 21
- الآية 60 من سورة غافر، ص 21
- الآية من 01 إلى 5 من سورة العلق ، ص 23
- الآيتان1-2 من سورة طه، ص 24
- الآية 04 من سورة القلم، ص 24
- الآية 100من سورة التوبة، ص 25
- الآية 20 من سورة يوسف، ص 27
- الآيتان 8-9 من سورة الإنسان، ص 27
- الآية 60 من سورة القصص، ص 44

فهرس الأحاديث :

- حديث بالإسناد عن نافع بن عمر عن الفقر " لكل شيء مفتاح...يوم القيامة" ص10
- حديث الرسول صلى الله عليه و سلم عن لبس الصوف "مر بالصخرة ...البيت الحرام".ص15
- حديث رواه ابن ماجة و صححه الألباني عن الزهد"الزهد في الدنيا... يحبك الناس ".ص23
- حديث متفق عليه عن الشكر " أفلا أكون عبدا شكوراً ".24
- حديث رواه أبو يعلي "الترغيب و التعذيب" و " الجامع الصغير " عن الزهد " إذا رأيتم من ...يلقى الحكمة ".ص 24
- حديث الرسول صلى الله عليه و سلم عن الدعاء " اللهم لك أسلمت ... و إليك أنبت " و " اللهم اجعلني شكوراً... أعين الناس صغيرا ".ص25

- حديث الرسول صلى الله عليه و سلم عن علو منزلة صحابته " أصحابي كالنجوم... إهتديتم"ص25

-

- .**فهر س الأعلام** :

- أ -

- أنس بن مالك .ص15.

- ت -

- أبو تراب النخشي .ص17.

- ح-

- الحسن البصري.ص16.

- أبو حفص ص11.

- الحلاج .ص 30.

- ذ -

- أبو ذر الغفاري.ص40.

- ذي النون المصري.ص11.

- ر-

- رويم .ص10.

- س-

- سهل بن عبد الله التستري.ص17

- ط -

- الطوسي.ص26.

- غ -

- الغزالي .ص10.

– ق –

– القشيري. ص8.

– ك –

– الكرخي .ص11.

– هـ –

– أبو هاشم الصوفي .ص8.

– أبو هريرة .ص 16.

فهرس المصطلحات :

– الأحوال ،ص 61

– التخاطر ، ص 26

– الفناء، ص61

– المقامات، ص 61

فهرس الفرق :

–علم الكلام ، ص 36

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

كلمة الشكر

الإهداء

بسملة

قائمة المختصرات

مقدمة.....أ

المبحث الأول :أصول التصوف الإسلامي

1- تعريف التصوف.....8

2-إشتقاق الكلمة 14

3-مصادره و منابعه الأولى.....19

أ- المصادر الإسلامية 19

1-القرآن الكريم.....19

2-السنة النبوية.....22

3-حياة الصحابة.....25

ب- المصادر الأجنبية.....28

1- المصدر الهندي 28

2- المصدر الفارسي.....29

3- المصدر المسيحي.....29

4- المصدر اليوناني.....30

المبحث الثاني :عوامل ظهور التصوف

1- العوامل الدينية.....32

2- العوامل السياسية.....37

3- العوامل الاجتماعية و الاقتصادية.....39

المبحث الثالث:خصائص التصوف في العصر الأموي

1- الخصائص الدينية والإجتماعية 43

2- مدارس الزهد النشأة والتطور إلى غاية نهاية القرن الثاني هجري.....48

أ مدرسة المدينة 48

ب مدرسة البصرة 49

ج مدرسة الكوفة 50

3- أقطاب الزهد في القرنين الأول و الثاني هجري 51

الأحنف بن قيس.....51

علقة بن قيس 51

الأسود بن يزيد 52

معاذة بنت عبد الله 52

عمر بن عبد العزيز.....52

مالك بن دينار.....53
حسن البصري.....54
سكينة بنت الحسين 56
واصل بن عطاء.....57
سفيان الثوري.....57
إبراهيم بن أدهم.....58
4- أثاره الاجتماعية و الدينية 60
خاتمة 66
الملاحق 68
قائمة المصادر و المراجع.....74
قائمة الفهارس.....81
فهرس الآيات.....82
فهرس الأحاديث.....83
فهرس الأعلام.....84
فهرس المصطلحات.....85
فهرس الفرق.....85
فهرس المحتويات.....86